

صلى الله عليه وآله وسلم

رَحِيلِي

فِي ظِلَالِ السُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ

رُحُلِي

فِي ظِلَالِ السُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ

أسسها
محمد علي قولة
سنة ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧ م

دار القلم
دمشق

الطبعة الأولى
١٤٣٧ هـ - ٢٠١٦ م

حقوق الطبع محفوظة

تطلب جميع كتبنا من:

دار القلم - دمشق

هاتف: ٢٢٢٩١٧٧ فاكس: ٢٢٥٥٧٣٨ ص.ب: ٤٥٢٣

www.alkalam-sy.com

الدار الشامية - بيروت

هاتف: ٨٥٧٢٢٢ (٠١) فاكس: ٨٥٧٤٤٤ (٠١)

ص.ب: ١١٣/٦٥٠١

توزع جميع كتبنا في السعودية عن طريق:

دار البشير - جدة

٢١٤٦١ ص.ب: ٢٨٩٥ هاتف: ٦٦٥٧٦٢١ فاكس: ٦٦٠٨٩٠٤

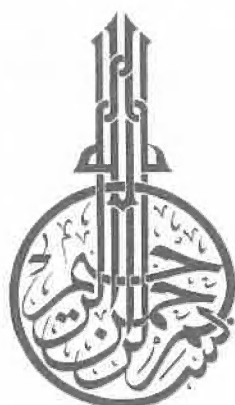
صلى الله عليه وسلم

رَجُلِي

فِي ظِلَالِ السُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ

دار القلم

دمشق



مقدمة

الحمد لله ربّ العالمين، حمداً طيباً مباركاً فيه، وأفضل الصلاة وأتمّ التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد:

فقد وصلتني رسالة من ابن أخي الأستاذ مصعب بن عبد الرحمن الشامي - حفظهما الله - يطلب مني فيها أن أكتب تفصيل عملي في السُّنة الشريفة، فيما يَسّر الله لي إخراجَه من كتبها، في المشروع الذي أطلّقتُ عليه فيما بعد: «مشروع تقريب السُّنة المطهّرة» وكيف كانت البداية.. وما يتصل بذلك، إلى أن تمّ المشروع.

كان هذا قبل صدور كتاب «جامع الأصول التسعة» وبعد نزول هذا الكتاب إلى المكتبات، تكرر هذا الطلب من عدد من الإخوة القراء من أماكن متعددة.

وقد رأيتُ أن ألبي رغبتهم، وإن كان بعض ما سوف أسجله مدوّنًا في مقدّمات تلك الكتب.

وهي تجربة شخصية متواضعة، لم أقُلْ فيها غيري، بل لم يكن هناك ما أنسج على منواله بعد البحث، فتمخّض العمل جديداً، مما يَسّر الله تعالى وهداني إليه.

هذا، وصَلَّى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

وكتبه

صالح أحمد الشامي

غرة محرم ١٤٣٧هـ

٢٠١٥/١٠/١٤م

بين يدي الرحلة





واجب الصلة بالسنة

قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: ٤٤].

السنة الشريفة هي الشارحة والمبينة للقرآن الكريم. ومن حكمته تعالى، أن جعل هذا البيان لكتابه بياناً حياً، يتمثل في واقع عملي، يتعامل مع معطيات الحياة، ويعيش كل أجوائها.. وليس مجرد نصوص تشرح كلمات غامضة، أو تبين عبارات استغلق على الفهم إدراك معناها.

وكان المبين ﷺ إنساناً، يعيش مع الناس حياتهم بكل ما فيها من فرح وسرور، وآلام وأحزان، ومشقة وتعب.. وفقر وغنى.. فكان قوله بياناً، أمراً كان أم نهياً.

وكان فعله بياناً، في الرضى والغضب.. في العادات والعبادات والمعاملات، وكان إقراره بياناً..

إنه بيان حيّ، يفهمه كل إنسان، لأنه واقع منظور، ويدرك مدلوله كل ذي لب بحسب ما رزق من فهم ووعي وعلم. وقد نصت الآية الكريمة السابقة على هذه المهمة البيانية للنبي ﷺ.

وأكد ذلك بقوله ﷺ: «ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه»

أخرجه أبو داود وصححه الألباني وهذا «المثل» هو ما قام به ﷺ من شرح وبيان.

وقال ﷺ - كما في الموطأ - : «تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما، كتاب الله، وسنة نبيه».

وقال ﷺ - كما في المستدرک وصححه الألباني - : «إني قد تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما، كتاب الله وسنتي، لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض».

وفي السنن الكبرى للبيهقي: عن أبي نضرة قال: كنا عند عمران بن حصين رضي الله عنه، فكنا نتذاكر العلم، فقال رجل: لا تتحدثوا إلا بما في القرآن.

فقال له عمران: إنك لأحمق، أوجدت في القرآن: صلوا الظهر أربع ركعات، والعصر أربعاً لا تجهر بالقراءة في شيء منها.. الحديث (١٩٤/٢).

كل هذه النصوص تدل دلالة واضحة على مكانة السنة، وأنها الشارحة والمبينة للقرآن الكريم. يؤكد هذا - إضافة إلى الآية السابقة - قوله تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [الحشر: ٧].

فيحسن من كل مسلم، بل الواجب عليه - وقد تبين له تلك المكانة الرفيعة للسنّة المطهرة - أن يبادر إلى التعرف على أكبر قدر منها، حتى تكون أقواله وعباداته ومعاملاته تطبيقاً لما جاء به هذا الدين الحنيف.



الرحلة في طلب علم الحديث

كانت الرحلة والسفر ديدن طلاب علم الحديث على مرّ القرون، للقاء الأئمة والأخذ عنهم.. وهذا مدوّن في تراجمهم وسيرهم.

وكانت مدن العلم وعواصمه كثيرة، منها: المدينة النبوية المنورة، ومكة المكرمة، ودمشق، وبغداد، والبصرة، والموصل، وبخارى، ونيسابور، وخراسان، وسمرقند، وقزوين، واليمن.

وظهر في هذه المدن أئمة أعلام، قصدهم طلاب العلم من كل مكان.

وكان على كلّ طالب علم أن يعدّ نفسه لهذه الأسفار.

ومع مرور الأيام ضعفت الهمم، واكتفى طلاب العلم في كل بلد بالأخذ عن العالم الذي في بلدهم، وقد سجل هذه الظاهرة العلامة الموصلي (ت ٦٢٢هـ) في مقدمة جمعه للصحيحين بقوله: «ولما كان علم الحديث، ورأيت إعراض الناس عنه، وسبب ذلك أربعة أشياء وذكر منها السفر...».

ثم ظهرت الطباعة في بلاد المسلمين مع مطلع القرن العاشر الهجري، فأحدثت تغييراً نوعياً في طريقة طلب العلم. فنشأت عواصم جديدة لطلب العلم، هي مؤلفات الأئمة.

ومن هذه العواصم: موطأ الإمام مالك، مسند الإمام أحمد، الجامع الصحيح للإمام البخاري، صحيح الإمام مسلم، سنن الإمام أبي داود، جامع الإمام الترمذي... وغيرها كثير كثير.

وبعد أن كانت الرحلة إلى عواصم العلم، أصبحت الرحلة فيها... في صفحات الكتاب وبين أسطره.

واكتفى طلاب العلم بالسعي للحصول على كتب هؤلاء الأئمة الأعلام، والتلمذ عليها إما بالقراءة على شيخ والتلمذ عليه، وهي الطريقة الأكثر شيوعاً.. وإما باكتفاء طالب العلم بالرجوع إلى هذه المصادر مباشرة..

وكنْتُ واحداً من هذا النوع الأخير، ولم يكن واسطة بيني وبين هؤلاء الأئمة الأعلام.. فتتلمذتُ على أيديهم مباشرة، تلك الأيدي التي كتبت هذه الكتب الأعلام.

لم يكن ذلك في مقتبل العمر، وأنا واحد من خريجي إحدى كليات الشريعة، واشتغلت بالعلم بعدها وظهرت بعض كتاباتي في السيرة النبوية وغيرها.

أقول: لم يكن ذلك في مقتبل العمر، وإنّما بعد بلوغ سن الخمسين حيث بدأت رحلتي إلى إمام الأئمة في علم الحديث الإمام البخاري، ثم اتجهت إلى الإمام مسلم.. وبعد التلمذة على يديهما خرجت وأنا أحمل معي كتاب «الجامع بين الصحيحين».

تلك بداية رحلتي..

كلمة حول فكرة جمع السُّنة

ظهرت في أيامنا هذه فكرة جمع السُّنة المطهَّرة، وهي فكرة جلييلة تستحق التقدير والاحترام.

وقد انتقل بعضهم بهذه الفكرة من المجال النظري إلى الميدان العملي...

وهناك أكثر من مشروع وضع لإنجاز هذا العمل، ولكننا - وحتى كتابة هذه الأحرف - وبعد مضي أكثر من ثلاثين عاماً... لم تصل تلك المشاريع إلى غايتها المرجوة.

ويرجع في نظري عدم نجاحها إلى أكثر من سبب.

من ذلك: عدم تصور الهدف والغاية التي تجمع السُّنة من أجلها...

ومن ذلك: أن هذه المؤسسات لم تستأنس بآراء أهل الخبرة والدراية.

* * *

إن مسألة «جمع السُّنة» تحتاج إلى تحديد الهدف والغاية أولاً، ثم وضع الخطوات التي توصل إلى ذلك؛ ولا بدّ أن يكون ذلك صادراً عن رأي جماعي يشترك في وضعه العلماء وأصحاب الخبرة في هذه الميادين.

ومن أجل الوصول إلى ذلك، فإنني أرى من واجبي المشاركة في إبداء الرأي ووضع التصور الذي توصلتُ إليه بين أيدي أساتذتنا من العلماء، وهو جهد المقل، وعسى أن يبارك الله فيه.



إن فكرة «جمع السُّنة» ليست جديدة على العلماء، وقد بذلت جهود كثيرة من أجلها، وهي جميعها تصبُّ في الوصول إلى هذا الهدف. ومن هذه الجهود:

أولاً: الجهود التي بذلت في جمع كتابين أو أكثر في كتاب... كـ «جمع الصحيحين»، و«جامع الأصول»... وغيرها، فإنها كانت تهدف إلى تقليل عدد الأحاديث وعدم تكرار الحديث الواحد... وبالتالي تقليص مساحة البحث ففي «جامع الأصول»، ربما كان الحديث في كتابين أو ثلاثة من كتب الجامع، ومع ذلك فإنه يذكره مرة واحدة، وبهذا تضيق مساحة البحث، ويتوفر الوقت.

ثانياً: تلا ذلك الجهود التي عملت على استخراج الزائد في كتاب ما، على ما في كتاب آخر، والتي أطلق عليها اسم «كتب الزوائد».

إن جمع كتابين، أو عدة كتب، في كتاب واحد، أو استخراج الزائد في كتاب على كتاب آخر، أو عدة كتب، يسّر على الباحثين عملهم، ووفر عليهم بعض أوقاتهم. وهو - في

الوقت نفسه - خطوة على طريق «جمع السُّنة» إذ غايته تصغير مساحة البحث.

وإذاً ففكرة «حذف المكرر» قد سعى إليها العلماء، وبذلوا من وقتهم وجهدهم الكثير لتحقيقها.

* * *

والذي أراه أن الغاية من جمع السُّنة هو تقريبها من أيدي المسلمين، بحيث يتوفر لكل مسلم ما هو بحاجة إليه من العلم، وإذا كان المسلمون ليسوا في مستوى واحد من حيث حاجتهم - فحاجة العالم غير حاجة طالب العلم، وحاجة الباحث والمجتهد غير حاجة العالم - فالواجب مراعاة ذلك. وبناءً على ذلك، فالذي أراه أن كُتِبَ السُّنة يمكن تقسيمها إلى مجموعتين:

المجموعة الأولى: وتضمُّ الكتب التسعة وهي: «موطأ الإمام مالك»، و«المسند» للإمام أحمد، و«الجامع الصحيح» للإمام البخاري، و«صحيح الإمام مسلم»، و«سنن أبي داود»، و«جامع الترمذي»، و«سنن النسائي»، و«سنن ابن ماجه»، و«سنن الدارمي».

والمجموعة الثانية: وتضمُّ ما وراء ذلك من كتب السُّنة، وهي كثيرة.

* * *

إن المجموعة الأولى: تضمُّ من الأحاديث ما فيه تلبية
لحاجة طالب العلم، والعالم، وعامة الناس.

وقد يَسِّر الله جمع أحاديثها في كتاب واحد تحت عنوان:
«جامع الأصول التسعة من السُّنة المطهَّرة» الأمر الذي يجعل
طالب العلم يحصل على مبتغاه في سهولة ويسر.

وقد بلغ عدد أحاديث الكتب التسعة بعد حذف المكرر
(١٦٦٤٦)، - بما في ذلك معلقات البخاري - وأما عدد أحاديثها
قبل ذلك فهو (٦٧٤٥٣) والرقم الأول يعدل أقل من ربع الرقم
الثاني. وبهذا يتبيّن حجم توفير الجهد والوقت.



وأما المجموعة الثانية: وهي التي تضمُّ ما وراء الكتب
التسعة من كتب الحديث، فهي ما يحتاجه الباحثون
والمجتهدون، وهي كثيرة كثيرة، حتى ما يكاد العالم
المتخصص أن يلمَّ بها... فإن جمعها يحتاج إلى جهد وصبر
وتعاون.

ومن أجل إيجاد هذا الكتاب الذي يضمُّ هذه المجموعة،
أرى أن تستخرج الأحاديث الزائدة على ما في الكتب التسعة
من هذه الكتب مع مراعاة ما يلي:

- ١ - اشترك العلماء بهذا العمل بحيث يأخذ الواحد منهم
كتاباً أو أكثر، فيستخرج زوائده على الكتب التسعة.

- ٢ - توحيد المخطوط من حيث العناوين في الكتب والفصول والأبواب... حتى يسهل فيما بعد تنسيق المجموع.
- ٣ - الاختصار على الأحاديث المرفوعة وما في حكمها دون الآثار. وإن رغب القارئون على العمل بجمع الآثار، فلتكن في عمل آخر موازٍ للعمل الأول ومستقل عنه.
- ٤ - إذا استكمل العمل؛ يتمّ التنسيق بين حصيلة هذه الكتب بحيث يحذف المكرر منها.
- ٥ - اختيار لجنة من العلماء للحكم على هذه الأحاديث صحةً وضعفاً.



- وفي اعتقادي أن هذا الكتاب الذي سيجمع هذه الحصيلة لن يكون كبيراً. ولبيان ذلك بلغة الأرقام أقول:
- مجموع أحاديث «صحيح ابن خزيمة» (٣٠٧٩) وعدد الأحاديث الزائدة فيه على الكتب التسعة (٢٩٦) حديثاً بما في ذلك الآثار. أي: بنسبة تقل عن عشرة في المائة.
 - مجموع أحاديث «صحيح ابن حبان» (٧٤٩١) وعدد الأحاديث الزائدة فيه على الكتب التسعة (٥٣١) حديثاً بما في ذلك الآثار. أي بنسبة تقل عن ثمان في المائة.
 - وإذا أضفنا إلى ذلك حذف الأحاديث المشتركة بين الكتابين - وهي بحدود خمسين حديثاً - فإن العدد سيقبل.

- وإذا حذفنا الآثار أيضاً، فسيقل العدد مرة أخرى.

هذا ما رأيتُ أن أضعه بين أيدي العاملين في هذا الميدان المبارك، عسى الله أن ينفع به.

اللهم وفقنا لخدمة سنّة نبينا محمد ﷺ واجعلنا من العاملين بها، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

* * *



العيش في ظلال السنّة

قال الشيخ علي الطنطاوي رحمته الله - داعياً إلى قراءة السيرة: «وابدأ فانظر ما أُلّف في سيرة سيد البشر ومعلم الخير ﷺ وكيف دُوّنت حركاته وسكناته، وألفاظه وإشاراته في مئات من الكتب..».

ومن قبله قال الإمام ابن القيم رحمته الله:
«وإذا كانت سعادة العبد في الدارين بهدي النبي ﷺ، فيجب على كل من نصّح نفسه، وأحب نجاتها وسعادتها، أن يعرف من هديه وسيرته وشأنه ما يخرج به عن الجاهلين به، ويدخل في عداد أتباعه..».

وقال أيضاً:

«إذا صدق العبد في إرادة ربه رزق محبة الرسول ﷺ، فجعله إمامه ومعلمه وقدوته... فيطالع سيرته ومبادئ أمره، وكيفية نزول الوحي عليه، ويعرف صفاته وأخلاقه، وآدابه في حركاته وسكونه، ويقظته ومنامه، وعباداته ومعاشرته لأهله وأصحابه، حتى يصير كأنه - معه - من بعض أصحابه».

وكثير من الأئمة قد أوصوا بمثل ذلك.

فالتعرف على سيرة الرسول ﷺ وسُنّته ليس نافلة من النوافل، بل هو فرض من الفروض.

وذلك لأن محبته ﷺ شرط في الإيمان، وكلما ازدادت هذه المعرفة كلما ازداد هذا الحب.

وكذلك فاتباعه شرط للحصول على محبة الله تعالى لنا، كما هو التعبير عن حبنا لله تعالى.

وبمعرفة سُنّته وسيرته نتعرف على معالم هذا الدين الحنيف الذي نتعبد الله تعالى به.

• * *

ولقد أتيح لي بحمد الله تعالى أن أعيش أوقاتاً طويلة مع سُنّته وسيرته ﷺ، فعشتُ معه في مكة وهاجرت معه إلى المدينة، وعشتُ معه بعد ذلك في المدينة وهاجرت مع أصحابه إلى الحبشة الهجرة الأولى والثانية..

رأيتُه في غار حراء حين نزل عليه الوحي لأول مرة.. كما سمعته وهو يتلو آخر آية نزلت عليه وهي قوله: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٨١].

كنت أرقبه في صلاة الصبح من كل يوم عندما يجلس بعدها إلى طلوع الشمس، وأصحابه قريباً منه يتحدثون عن أيام جاهليتهم ويحمدون الله على ما هداهم إلى الإسلام، ويضحكون من جهلهم الذي كانوا عليه، ويتبسم رسول الله ﷺ فرحاً بأصحابه أن عاشوا الفرق بين الإسلام والجاهلية. ولم يعرف الإسلام من لم يعرف الجاهلية.

وكذلك ها هو ﷺ في غرفة السيدة عائشة رضي الله عنها يصلي قيام الليل فلا يجد مكاناً لسجوده، حتى تكف رجلها فإذا قام بسطتهما..

ورأيته مرة استوقفته امرأة مسكينة فوقف معها وطال وقوفه حتى قال أحد أصحابه: لقد رثيت لحاله من طول القيام.
وها هو في المسجد وقد رأى أحد أصحابه لا يحسن الصلاة فقال له: (ارجع فصل فإنك لم تصل).

ولقد رأيته في غضبه لله مرات.. جاءه أسامة يتشفع بالمرأة التي سرقت.. فغضب وقال: (أتشفع في حدٍّ من حدود الله؟).
وشكا أحدهم معاذاً لإطالته الصلاة؛ فغضب وقال: (أيها الناس إن منكم منفرين).

وكان في طريقه مرة وأمامه أبو مسعود الأنصاري يضرب غلاماً له.. فقال له: (اعلم أبا مسعود، لله أقدرُ عليك منك عليه..).
ورأيته في مزاحه.. وفي سباقه للسيدة عائشة مرتين، مرة بعد مرة.

وسمعه يقول: (استوي يا سواد..) فقال له: أوجعتني.. وأقاده من نفسه ﷺ.

ولقد كنت في الخيمة التي جمع فيها الأنصار بعد حُنين، عندما عتبوا عليه في توزيع الغنائم فجمعهم ليشرح لهم سبب ذلك.. وبكى الأنصار، ولقد بكيت معهم..

لقد عشتُ مع صحابته رضي الله عنهم ورضي عنهم.

عشتُ مع عائشة رضي الله عنها مصابها حتى نزلت براءتها.
وعشتُ مع كعب بن مالك محنته حتى تاب الله عليه.
ورأيتُ ذلك الراكب في غزوة تبوك.. فيقول ﷺ: (كن
أبا خيثمة) فكان أبا خيثمة..

لقد عشت السيرة النبويّة وسمعت السُّنة النبويّة فكانت
سعادة لا توصف، كنت أبكي تارة، وأضحك أخرى، وأحزن
وقتاً، وأفرح وقتاً آخر.

لقد قاربت أن أكون كما قال الإمام ابن القيم: «حتى
يكون معه كأنه من بعض أصحابه».

تلك كانت مشاهد من رحلتي في ظلال السُّنة والسيرة
قدمتها بين يديّ جوابي على الرسالة.

وأحمد الله تعالى أن وفقني ويسّر لي أن أضع بين يديّ
كل مسلم:

١ - ما يلبي حاجته - كحد أدنى يفي بالغرض - في ما ينبغي
معرفته من السُّنة في كتاب «معالم السُّنة النبويّة».

٢ - وفي السيرة في كتابين هما: «من معين السيرة» و«من
معين الشمائل».

وهذه الكتب الثلاثة توفر - إن شاء الله - للقارئ أن يعيش
بعض وقته في ظلال السُّنة والسيرة.. فيستشعر السعادة في
تلك الظلال.

الباب الأول

رحلتي
في ظلال السنة النبوية



تمهيد



مشروع تقريب السُّنة المطهرة

بلغ عدد الكتب الصادرة في هذا المشروع (١٦) كتاباً،
أذكرها حسب تسلسل صدورها:

- ١ - الجامع بين الصحيحين.
- ٢ - تحقيق الجمع بين الصحيحين، للعلامة الموصلي.
- ٣ - زوائد السنن على الصحيحين.
- ٤ - تحقيق وترتيب: مشارق الأنوار على صحاح الآثار،
للقاضي عياض.
- ٥ - ترتيب «الأدب المفرد» للإمام البخاري، حسب الموضوعات.
- ٦ - الوافي بما في الصحيحين.
- ٧ - زوائد الموطأ والمسند على الكتب الستة.
- ٨ - زوائد السنن الكبرى للبيهقي، على الكتب الستة.
- ٩ - زوائد ابن خزيمة وابن حبان والمستدرک على الكتب
التسعة.

- ١٠ - زوائد الأحاديث المختارة، للضياء المقدسي على الكتب التسعة.
- ١١ - مسند الإمام أحمد بن حنبل (محذوف الأسانيد والمكرر مرتب على الأبواب).
- ١٢ - الأحاديث النبويَّة الكلية (التي عليها مدار الأحكام).
- ١٣ - جامع الأصول التسعة (من السُّنَّة المطهَّرة).
- ١٤ - تقريب مسند الإمام أحمد.
- ١٥ - معالم السُّنَّة النبويَّة.
- ١٦ - الوجيز في السُّنَّة النبويَّة.

هذا ما يَسِّرُ الله إنجازَه في هذا المشروع المبارك، وفيه نوعان من الكتب:

(١) كتب هي عبارة عن حلقات في سلسلة، تكوَّنُ بمجموعها موضوعاً واحداً، وسوف أتحدث عنها في فصلين:
الأول: وفيه مجموعة الأصول التسعة.

الثاني: وفيه الحديث عن الكتب المكملة للكتب التسعة، وهو ما أطلقت عليه اسم «المصادر الخمسة».

(٢) كتب مفردة يعالج كل واحد منها موضوعاً واحداً، وسوف يكون الحديث عنها في الفصل الثالث.

(٣) وبما أنَّ السيرة جزء من السُّنَّة؛ فسوف أتحدث عن كتبها في الفصل الرابع.



الباعث والمنطلق

سألني أحد الإخوة الذين كنت ألتقي معهم على درس في «الفرائض» عن حديث...، فقلت: يغلب على ظني أنه ضعيف. ولما عدت إلى البيت رجعت أبحث عن «الحديث» فإذا به في «الصحيحين». واتصلت بالأخ السائل وأبلغته أن الحديث في الصحيحين.

كان ذلك عام ١٤١٠هـ في مدينة «عرعر» في المملكة العربية السعودية، وعدت إلى نفسي أسئلتها عن سبب هذا الجهل الفاحش؟!!

فأنا إنسان من خريجي كلية الشريعة في الجامعة السورية - كما كانت تسمى يومئذٍ - ومن المتفوقين فيها - بحمد الله - وسبق لي أن عملتُ مدرساً في سوريا لمدة عشرين عاماً، وعملت مدرساً في المملكة حتى يومئذٍ مدة عشر سنوات.

مع ذلك أجهل حديثاً في الصحيحين؟ إنه أمر غير معقول.. وظللت أياماً وأنا منشغل الفكر بهذا الأمر..

ولكننا في كلية الشريعة - وكذا كل كليات الشريعة - لم ندرس البخاري ولا مسلماً، وكل ما هنالك كنا ندرس نصوصاً من «سبل السلام» و«نيل الأوطار» وهي في جملتها

إنما تحسب على مادة الفقه، أو الفقه المقارن، وإن كانت في الأصل في مادة الحديث.

ولم يتح لي دراسة البخاري بعد ذلك، وإن كنت قرأت بعض مختصر الزبيدي..

وإني لا أخلي نفسي من المسؤولية وإن كانت هناك عوامل أخرى كثيرة تشارك في ذلك لست بصدّد الحديث عنها.

وبعد أيام من انشغال الفكر بهذا الأمر تبادر لذهني أنه لا بدّ من كتاب يجمع بين الصحيحين يكون قريباً من الأيدي، مثله في ذلك مثل الأربعين النووية..

ولكن كيف نحصل على مثل هذا الكتاب؟

وأخبرت بأن الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة تحقق مخطوطة لجامع بين الصحيحين، واتصلت هاتفياً بأحد هؤلاء المحققين، فأكد صحة الخبر، ولكنه قال: إن العمل متوقف هذا العام، لأن الجامعة لم ترصد له المال اللازم.

فرايتُ أن انتظار خروج هذا العمل أمر غير مجد، وهو من ضياع الوقت.

فقررتُ أن أقوم بهذا العمل بنفسني فأحقق كتاباً في الموضوع، أو أجمعه.

وكانت إجازة الصيف قد حان وقتها، فسافرتُ إلى الرياض وعشت أياماً في مكتبة المخطوطات في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

ونظرتُ في عدد من المخطوطات، منها «الجمع بين الصحيحين» للحميدي، وهو المشهور بين جوامع الصحيحين، والجامع بين الصحيحين، لأبي نعيم الحَدَّاد الأصبهاني، وجامع عبد الحق الإشبيلي وجامع أبي حفص الموصلي، وجامع الصاغاتي.. وغيرها، مما ذكرته في مقدمة الجامع بين الصحيحين.

فلم أجد في هذه الجوامع ما يلبي حاجة العصر، إذ كل مؤلف محفوف بأجواء الزمن الذي يعيش فيه، فعزمتُ على القيام بهذا العمل مستعيناً بالله سبحانه وتعالى.

كانت الغاية مما عزمتُ عليه، هي أن أضع بين يدي ما أزيل به الجهل الذي أنا فيه.





الفصل الأول

مجموعة الأصول التسعة

أتحدث في هذا الفصل عن ثلاثة كتب جمعت
فيما بعد فكانت (جامع الأصول التسعة)



الجامع بين الصحيحين

وعدتُ إلى «عرعر» مع مطلع العام الدراسي عام ١٤١١هـ، وقد استقر في نفسي العزم على القيام بجمع الصحيحين، وبدأتُ في التفكير في إعداد ما ينبغي القيام به قبل مباشرة العمل.

لم يكن بين يديّ عملٌ في هذا الموضوع أستفيد من خطته ما يساعدني على بيان الخطوات التي ينبغي اتباعها. وكان عليّ أن أشق الطريق بنفسي..

ومرّت أيام وفكري مشغول في كيفية البدء، وفي ترتيب مراحل العمل، ثم توصلتُ إلى أن أول عمل ينبغي القيام به هو مخطط العمل.

وأقصد بذلك ترتيب الأبواب والفصول التي ستكون الأحاديث تحت عناوينها.

ورجعتُ إلى فهرس جامع الإمام البخاري فوجدته يحتوي (٩٧) كتاباً أو عنواناً رئيساً، ورجعتُ إلى صحيح الإمام مسلم فإذا به مرتب تحت (٥٤) كتاباً، وهي العناوين التي وضعها له الإمام النووي.

وبعد المقارنة بين فهرسي الكتابين وجدتُ أن أبواب صحيح مسلم لا تنضوي كلها تحت عناوين البخاري، الأمر الذي سيزيد عدد الأبواب على المائة لو تمّ الجمع بين الفهرسين.

ولو ذهبتُ إلى إثبات كل تلك الكتب:

- لظلت قضية الرجوع إلى الحديث في مظانه تستغرق وقتاً غير قصير من القارئ.

- ولظللنا تحت عناوين بعضها كلي وبعضها جزئي، الأمر الذي لا يعطي التصور الواضح عن هذه الشريعة وشمولها.

فكان لا بدّ من تقليص عدد العناوين..

ورجعتُ في سبيل ذلك إلى فهارس كتب السنن، وكتب الفقه.. فلم أجد فيها ما أسعى إليه، فلم تكن هذه القضية لتشغل بالهم، وهي من قضايا الشكل التي لا تؤثر على المضمون..

وكان عليّ أن أضع هيكل البحث أو عناوين المشروع الرئيسة..

وبعد جهدٍ وبحثٍ رأيتُ أن البحوث الرئيسة ترجع إلى عشرة، تنضوي تحتها فروعٌ وأقسام وهي:

١ - العقيدة.

٢ - العلم ومصادره.

٣ - العبادات، ويدخل تحتها: الذكر والدعاء، والأيمان والنذور، إضافة إلى الصلاة والزكاة والصوم والحج.

- ٤ - أحكام الأسرة.
- ٥ - الحاجات الضرورية، الطعام والشراب، واللباس والمسكن.
- ٦ - المعاملات.
- ٧ - الإمامة وشؤون الحكم.
- ٨ - الرقائق والأخلاق والآداب.
- ٩ - التاريخ والسيرة.
- ١٠ - الفتن.

وأطلقت على هذه الأقسام اسم «المقاصد».

وكل مقصد ينقسم إلى «كتب».

وكل «كتاب» تحته «فصول».

وكل فصل تحته «أبواب» وهي العناوين المتعلقة بالأحاديث.

وبهذا الشكل أصبح المخطط العام للبحث شبه كامل، أجريته عليه بعض التعديلات أثناء العمل، وقد بلغ عدد الكتب والفصول - وهي التي تشكل الهيكل العام للكتاب المراد إعداده - قرابة (١٢٠) عنواناً فرعياً تعود إلى المقاصد العشرة التي سبق الحديث عنها.



وبعد إعداد الهيكل العام بدأ التفكير في كيفية القيام بالعمل، والحقيقة أنه لم يكن هناك من خيارات، ولم أجد

إلا طريقاً واحداً، وهو أن أبدأ بصحيح الإمام البخاري من أوله، حديثاً حديثاً، وأن أجعل كل حديث على انفراد في جذاذة أو بطاقة، ثم أضع هذه البطاقة حسب موضوع حديثها في الملف الذي تتبع له.

وكنت قد أعددت عشرة ملفات رئيسة، وضمنها (١٢٠) ملفاً فرعياً - وهكذا استمر العمل.. حتى أصبح كتاب صحيح الإمام البخاري في بطاقات، ضمن الملفات المذكورة، وكل حديث معه رقمه الذي في «صحيح البخاري».

ثم بدأتُ بصحيح الإمام مسلم بالطريقة نفسها - مع تمييز بطاقات مسلم عن بطاقات البخاري - وهكذا أيضاً، حتى أصبح كتاب مسلم بطاقات في الملفات المذكورة، وكل حديث معه رقمه الذي في «صحيح مسلم».

وهكذا أصبحت الأحاديث ذات الموضوع الواحد - من الكتابين - ضمن ملف واحد.



ثم بدأتُ بالملف الأول، حسب الهيكل المعدّ للكتاب، وهو «كتاب الإسلام والإيمان» في المقصد الأول وهو الاعتقاد.

فنشرتُ بطاقات هذا الملف على أرض غرفة - فُرغتُ وأعدتُ لذلك - حتى تكون جميع هذه البطاقات تحت النظر.

وكانت الطريقة: أني أتناول بطاقة من البطاقات، فأنظر فيها، لتحديد اسم راوي الحديث، وليكن - على سبيل المثال - اسم الراوي (أنس بن مالك).

وعندها: أجمع كل البطاقات التي يكون فيها الراوي (أنس بن مالك) بحيث استوعب كل البطاقات التي على أرض الغرفة.

وبعدها: أنظر فيما تجمع لدي من هذه البطاقات، فقد تكون ترجع إلى حديث واحد، أو إلى حديثين أو أكثر.

وعندها: أميز بطاقات كل حديث منها على انفراد.

وهنا يأتي دور اختيار الرواية المراد اختيارها.

- فإن كان الحديث مما انفرد به الإمام البخاري، وكان ذا رواية واحدة، فلا خيار هنا، فيأخذ هذا الحديث دوره للتصنيف، وإن كان للحديث أكثر من رواية، فإني أقارن بين هذه الروايات وأختار أشملها إن كان يستوعب المعاني التي وردت في الروايات الأخرى، فإن لم يكن هناك رواية تستوعب الروايات الأخرى، فإني أختار أوسع الروايات وأشملها، وأضيف إليها رواية أخرى لما لم تستوعبه الرواية المختارة، وقد أضيف روايتين أو أكثر، بحيث تُستوعَب كل المعاني والأحكام الواردة في هذه الروايات.

- وإذا كان الحديث مما انفرد به الإمام مسلم فإني كذلك أفعل لاختيار الرواية أو الروايات كما سبق في الفقرة قبلها.

- وأما إذا كان الحديث مما اتفق عليه الشيخان، فلا بدّ أن يكون النص المختار من رواية البخاري.

ولذا فإنني أقارن بين روايات البخاري وروايات مسلم، فإن وجدتُ بينها روايتين متطابقتين أو شبه متطابقتين، بحيث يكون الاختلاف يسيراً لا يؤثر في اختلاف المعنى، فإنني أثبت رواية البخاري.

ثم أفتش بعد ذلك في روايات البخاري ثم في روايات مسلم إن كان ثمة زيادة فإنني أثبتها.

وإن لم يكن هناك تطابق بين روايتي البخاري ومسلم فإنني أثبت الرواية الأعم من روايات البخاري، ثم أشير إلى النقص أو الزيادة في رواية مسلم، وقد أسجل بعض الأحيان نص مسلم كاملاً إذا كان الأمر يستدعي ذلك، ثم أفتش في بقية الروايات إذا كان هناك من زيادة تستحق الإثبات.

وهكذا يستمر العمل حتى يتم النظر في جميع بطاقات الملف.

* * *

وبهذا يكون كل حديث قد أخذ وضعه النهائي، وهنا يأتي دور اختيار «العناوين» التي هي «الأبواب» ضمن الفصول. فأختار لكل حديث عنواناً، وقد يكون العنوان لحديثين أو لمجموعة من الأحاديث إذا كانت ذات موضوع واحد.

وبعد ذلك تُرتَّب هذه «الأبواب» حسب أولويتها تمهيداً لعملية التسجيل.

وبهذا يكون الفصل الأول من المشروع قد انتهى إعدادة، بانتظار المرحلة الأخيرة في تسجيل هذه النصوص في شكلها النهائي حسب ترتيب أبوابها، ولكنها تبقى في بطاقتها لاحتمال إضافة حديث أو رواية تكون قد جاءت سهواً في ملف آخر.



وهكذا جرى العمل على هذه الشاكلة حتى استكملت جميع الملفات.

وهنا أريد أن أشير إلى أمرين ساعدا في إنجاز العمل:

الأول: أن العلامة محمد فؤاد عبد الباقي قام بترقيم أحاديث الإمام البخاري، ومن المعلوم أن الإمام البخاري يقطع الحديث الواحد حسب الأحكام الواردة فيه، فقد يتوزع الحديث الواحد في خمسة مواطن أو أكثر وقد تكون هذه المواطن متباعدة عن بعضها، فكان من خطة عبد الباقي رحمته الله أنه يذكر عقب نص الحديث عندما يرد في الكتاب لأول مرة، يذكر أرقام رواياته الأخرى أو ما يسمى أطراف الحديث الأخرى، بحيث إذا أراد القارئ جمع الحديث أمكنه ذلك.

وقد ساعدني هذا الأمر كثيراً في جميع روايات الحديث مع بعضها.

وأما الإمام مسلم فإنه يذكر روايات الحديث الواحد في مكان واحد إلا في أحاديث قليلة.

الثاني: أنه - عبد الباقي - جمع في كتاب «اللؤلؤ والمرجان» الأحاديث المتفق عليها بين البخاري ومسلم، مما ساعد في الوقوف على هذه الأحاديث.

أقول: إن هذا الكتاب ساعد في الدلالة على بعض الأحاديث المتفق عليها، وهو لا يذكر زيادات البخاري أو مسلم على النص المتفق عليها.



وأما العناوين المختارة للأبواب، فهي في معظمها من وضعي، وكنت أتمنى لو استطعتُ وضع عناوين البخاري، ولكن لم أستطع ذلك لأنه يقسّم الحديث الواحد، وتتعدد العناوين له بحسب فقه كل فقرة، والمشروع الذي قمتُ به قائم على جمع الحديث في مكان واحد.

وأما عناوين «صحيح مسلم» فهي من وضع الإمام النووي، وهي تقريبية، وليست دقيقة، وكمن من حديث وُجد تحت عنوان لا يمت إليه بصلة، لأن العناوين كانت إجمالية.

ومع ذلك فحيث أمكن وضع عناوين البخاري أو مسلم، فقد فعلتُ ذلك.



وأما المعلقات في كتاب البخاري، فآثرتُ أن أضعها في الحاشية تحت العناوين المناسبة لها.

وأما الأحاديث الواردة في مقدمة مسلم، فقد أبقيتها في المتن، كما فعل فؤاد عبد الباقي ولكنني ذكرت عند ذكر رقمها أنها في «المقدمة» علماً بأنه قد أخرجها الإمام البخاري.



وأما الأحاديث التي تحمل أكثر من موضوع، فإني أذكرها في الموضوع الذي سيقَت من أجله، أو الموضوع الرئيس، ثم أحيل على هذا الحديث بذكر رقمه تحت عنوان الموضوعات الأخرى ذات الصلة، تخلصاً من تكرار النصوص فأقول في آخر الباب: وانظر في الموضوع الحديث رقم... وهو الرقم المسلسل للحديث.



هذه هي الخطة التي سرْتُ عليها في جمع هذا الكتاب..

وبعد انتهاء ما سبق ذكره من العمل عدتُ إلى الملفات، لأسجل النصوص مع عناوين أبوابها المختارة، وكان عليّ أن أقوم بأمرين:

الأول: ترتيب الأبواب حسب أولويتها ضمن كل فصل.

الثاني: ترتيب الأحاديث تحت عنوان الباب الواحد،

بحيث تكون الأحاديث المتفق عليها في أول الباب، وبعدها الأحاديث التي انفرد بها البخاري، ثم الأحاديث التي انفرد بها مسلم.



وقد بذلتُ جهدي في شرح الكلمات التي تحتاج إلى شرح، ووضعتُ ذلك في الحاشية، وتم الكتاب بحمد الله، وبعثتُ به إلى دار النشر.

وبدأُ جهد آخر في التصحيح.. فقد صُحح الكتاب ثلاث مرات وذلك بسبب التشكيل، ومع ذلك ربما بقيت بعض الأخطاء..

وطُبع الكتاب.. ووُزع على المكتبات.

كانت حركته في السوق بطيئة.. على الرغم من الموضوع الذي يحمله، فليس هناك كتاب آخر في هذا الموضوع.. ونزل أول كتاب في الموضوع بعد أربع سنوات وهو كتاب «الجمع بين الصحيحين» للحميدي بتحقيق الدكتور «البواب» وبعد أشهر من صدور «الحميدي» صدر «الجمع بين الصحيحين» لعبد الحق الإشبيلي بعناية الأستاذ حمد الغماس.

كانت حركة الكتاب بطيئة، وسبب ذلك واضح، فالمؤلف «مجهول» يطرح اسمه لأول مرة في هذا الميدان، ومما زاد الطين بِلّة، أن هذا «المجهول» يقفز مرة واحدة ليقدم جمعا بين الصحيحين. وهو عمل كبير.

أقول من حق القارئ أن يتوقف، وأن لا يسارع إلى شراء كتاب لا يعرف هوية جامعته، وإذا كان هذا شأن عامة القراء، فإن بعضهم لم ينظر إلى المؤلف، وإنما نظر إلى «المؤلف».

فقد أهدى الدكتور تيسير داود رحمته الله نسخة من الكتاب إلى صديق له مدرّس في الجامعة، واختصاصه في مادة «الحديث» وبعد أيام قال له: ما كنت أظن أن عملاً مثل هذا يمكن عمله.

وكتب الدكتور عائض القرني - ولم تكن بيني وبينه معرفة أو لقاء يومئذٍ -: «عندي كتاب (الجامع بين الصحيحين لصالح أحمد الشامي، وهذا الكتاب هو مرجعي بعد القرآن، وكنت أتمنى أن أجد كتاباً بهذه الصفة، فالحمد لله حصل هذا الكتاب، فهو صحيح كله، لأنه جمع (صحيح البخاري) و(مسلم)، ثم إنه رتبه ترتيباً سهلاً ميسراً، وعلّق عليه تعليقات خفيفة، وأضاف في الحاشية المعلقات في البخاري، فأتى كتاباً يشرح الصدور، ويريح البال، فمن حفظه فقد حفظ علماً نافعاً مباركاً، وحسبك به».

واتصل بي بعض طلاب العلم.. يشنون على الكتاب.

وحمدتُ الله أن وَجَدَ الكتاب من يقدره حقَّ قدره.

كما حمدتُ الله تعالى على أمرين تم إنجازهما في هذا العمل:

الأول: ما هداني الله إليه في ترتيب أبواب الكتاب وموضوعاته، وهو عمل جديد لم أسبق إليه.

والثاني: الطريقة التي تمّ بها جمع الكتاب، وهي طريقة استوعبت كل أحاديث الكتّابين حيث تم المرور على أحاديثهما حديثاً حديثاً.

هذا ما يسّر الله كتابته بشأن «الجامع بين الصحيحين» وقد تجاوزتُ ذكر كثير من العوائق التي كانت تستوقفني اليوم واليومين.. ثم يسّر الله تعالى حلّها.



وأختم حديثي عن هذا الكتاب بشكر الأخ الكريم الاستاذ محمد علي دولة صاحب دار القلم رحمه الله تعالى^(١)، وولده الأستاذ عماد الدين، على ما بذلا من جهد في إخراج الكتاب بالشكل الذي يتناسب مع مكانته، فجزاهما الله خيراً وأجزل ثوابهما.



هذا وقد أعيد طبع الكتاب، وتعدّ الطبعة الثانية هي المعتمدة، بسبب ما أضيف إليها من روايات وتعليقات، وكذلك ما تمّ من تصحيح الأخطاء.



(١) توفاه الله ﷻ في ليلة الجمعة ٢٩-١-٢٠١٦م، تغمده الله بواسع رحمته.

زوائد السنن على الصحيحين

على الرغم من بطء حركة كتاب «الجامع بين الصحيحين» فإن طلاب العلم الذين اقتنوه واستطلعوا بعض ما فيه، عرفوا كم وقر عليهم من الوقت في الرجوع إلى أحاديث الصحيحين..

فبدأ بعضهم يتصل بي عن طريق الدار الناشرة طالباً جمع «السنن» على الطريقة نفسها، ثم تكررت هذه الاتصالات..

وكتُب السنن أربعة، هي:

١ - سنن الإمام أبي داود.

٢ - جامع الإمام الترمذي.

٣ - سنن الإمام النسائي.

٤ - سنن الإمام ابن ماجه.

وهي مع «الصحيحين» تشكل ما أطلق عليه «الكتب الستة» وهي الكتب التي قدّمها العلماء على غيرها من كتب السُّنة.

قال العلامة الكتّابي في «الرسالة المستطرفة»، «فمنها - أي كتب الحديث - ما ينبغي لطالب الحديث أن يبدأ به، وهو أمهات الكتب الحديثية وأطولها وأشهرها، وهي ستة..» وذكرها.

هذا ما جرى عليه جمهور العلماء.

وقال قوم من الحفاظ، منهم «ابن الصلاح، والنووي، وصلاح الدين العلائي، والحافظ ابن حجر»: لو جعل مسند الدارمي سادساً كان أولى.

أي بدلاً من سنن ابن ماجه، فكان من المستحسن ضمّها إلى الكتب الأربعة، ويكون الجمع للكتب الخمسة.



وبعد التفكير.. أحببتُ استطلاع ساحة العمل، فوضعتُ هذه الكتب الخمسة أمامي وبدأتُ أتفحصها.. رغبة في قياس همّتي وقدرتها على القيام بالعمل المطلوب.. وصاحب ذلك التفكير في الطريقة التي يمكن فيها إنجاز العمل..

وبعد أيام قليلة وجدّني منشراح الصدر للقيام بالعمل، بعد أن تكوّنت لديّ الفكرة عن الطريقة التي يمكن سلوكها للوصول إلى الغاية، فالموضوع هنا جمع خمسة كتب..

وقد أدّى الاستطلاع المذكور إلى المعطيات التالية:

١ - إن هذه الكتب بجملتها كتب «سنن» فهي كتب أحاديث الأحكام، باستثناء جامع الإمام الترمذي، الذي جاء على طريقة الجوامع.

٢ - تميّز كتاب «ابن ماجه» بمقدمة جمعت (٢٦٦) حديثاً، ذكر فيها: تعظيم السُّنة، والتغليظ في الكذب على رسول الله ﷺ، وفيها الحديث عن الإيمان والقدر، ثم

ذكر فضائل بعض الصحابة، ثم أحاديث تتعلق بالخوارج، ثم أحاديث فضل العلم..

٣ - وكذلك فعل الدارمي في سننه، حيث قدّم له بمقدمة جمعت (٦٤٩) حديثاً، ذكر فيها بعض صفات النبي ﷺ، وبعض معجزاته، وأبواباً في العلم..

وإزاء هذا الوضع توصلت إلى الخطوة التالية لجمع أحاديث هذه الكتب:

(١) اعتماد المخطط الذي جرى عليه الجمع في كتاب «الجامع بين الصحيحين» كما هو حتى في مفرداته الفرعية، أي الأبواب التي تحت الفصول. والإبقاء على الملفات التي استعملت في «الجامع بين الصحيحين».

(٢) اعتماد «سنن أبي داود» كأساس في الجمع. فالسنن كلها متشابهة في تبويبها، فرأيتُ اعتماد كتاب «أبي داود» والسير وفقاً لأبوابه ابتداءً من باب «الطهارة».

(٣) إرجاء مقدمتي «ابن ماجه» و«الدارمي» والبحوث الزائدة عند الترمذي على ما جاء في السنن إلى ما بعد الانتهاء من العمل وفقاً «لأبي داود».

هذا مجمل الخطة التي وضعتُ للعمل.

أما كيفية العمل: فهي أنني آخذ الحديث، وليكن الحديث الأول عند أبي داود، في كتاب الطهارة:

- فتح الكتب الخمسة على كتاب الطهارة.
- النظر في راوي الحديث، وراوي الحديث الأول عند أبي داود هو «المغيرة بن شعبة».
- فإذا وجدتُ في السنن حديثاً يرويه «المغيرة بن شعبة» فإنني أنظر فيه، هل هو الحديث نفسه الذي عند أبي داود، أو غيره، فإن كان هو الحديث نفسه فإنني أقارن نصّه عند أبي داود مع نصّه عند غيره، فإن وافقه فذلك خير، وإلا فإنني أسجل الزيادة أو النقصان، ثم أذكر أرقام الحديث عند الكتب التي وجد فيها، وذلك في نهاية الحديث.
- وبعد الانتهاء أضع بطاقة الحديث في ملف «الطهارة».
- ولبيان ذلك عملاً أذكر الحديث الأول عند أبي داود.
- قال أبو داود:

عن المغيرة بن شعبة: أن النبي ﷺ كان إذا ذهب المذهب أبعد.

[١د/ ت ٢٠/ ن ١٧/ جه ٥٣٣١/ مي ٦٦٠، ٦٦١].

- ولفظ الدارمي: إذا ذهب إلى الحاجة، وفي رواية: إذا تبرز.
- وعند الترمذي: كنت مع النبي ﷺ في سفر فأتى حاجته فأبعد المذهب.
- زاد النسائي: قال: فذهب لحاجته، وهو في بعض أسفاره فقال: (ائتني بوضوء) فأتيته بوضوء، فتوضأ ومسح على الخفين. انتهى.

وهكذا بعد التفتيش عن الحديث، تبين أنه مروي في الكتب الخمسة، فتمّ وضع نص الحديث كما هو عند أبي داود، وذكرت تحته أرقام الحديث في كل كتاب بعد ذكر رمزه.

وبما أن الكتب ليست متفقة على النص جميعها كان لا بدّ من ذكر الزيادات.

وبما أن رواية النسائي قد ذكرت «المسح على الخفين» فإنها توضع بطاقة في الملف لتذكّر بالإحالة على هذا الحديث في باب المسح على الخفين.

وبهذه الطريقة يكون الحديث قد أخذ شكله الأخير فتوضع بطاقته في ملفه، ويشطب على أرقام الحديث في الكتب الخمسة إشارة إلى أنه قد نُقل.



وهكذا تتابع العمل في كتاب الطهارة حديثاً حديثاً.. وكذا بقية الأبواب، إلى أن انتهى العمل من «سنن أبي داود». وعندها عدتُ إلى الزيادات في جامع الترمذي بالطريقة نفسها، وكذا في مقدمتي «ابن ماجه» و«الدارمي» وقد تمّ حل كل المشكلات التي طرأت أثناء العمل.

ولما انتهى العمل، أصبحت الكتب الخمسة في الملفات.



إنَّ أحاديث الكتب الخمسة كثير منها مخرَّج في الصحيحين أو أحدهما، وفي إعادة تسجيله، ضياع للوقت، وتطويل للكتاب. فرأيت أن أقتصر على ذكر الأحاديث الزائدة عمَّا في الصحيحين، وهي التي لم تخرَّج في «الجامع بين الصحيحين».

إنَّ ما تمَّ جمعه كان للكتب الخمسة، وبيان ما جاء منها في «الصحيحين» يوفر لنا معلومة مهمة، وهي أن نتعرف على أحاديث الصحيحين التي خرَّجها أصحاب السنن، وهي معلومة ليس من السهل الحصول عليها، وهي متوفرة بين أيدينا، فلا يحسن بنا أن نضيعها.

وبعد التفكير في الأمر، يَسِّر الله لي الطريقة التي تجمع بين الأمرين.

وبدأت العمل، في الباب الأول - في مقصد العقيدة - وعنوانه:

١ - باب: أركان الإسلام والإيمان.

فوجدت بين يدي سبعة أحاديث فيما تمَّ جمعه من «السنن» في هذا الباب فقارنت بين هذه الأحاديث وبين الأحاديث الموجودة في كتاب «الجامع بين الصحيحين» في هذا الباب. وبعد المقارنة وجدت حديثين من السبعة قد خرَّجا في «الجامع» الأول عن ابن عمر، والثاني عن أنس فبدأت التسجيل بالشكل التالي:

١ - باب: أركان الإسلام والإيمان

[١ - ق] ابن عمر [ت: ٢٦٠٩/ن: ٥٠١٦]

[٢ - م] أنس [ت: ٦١٩/ن: ٢٠٩٠/مي: ٦٥٠]

١ - (ن جه) عن معاوية القشيري قال: قلت: يا نبي الله..

الحديث [ن ٢٤٣٥، ٢٥٦٧/جه ٢٥٣٦]

وإيضاح ذلك:

في السطر الأول: (١) هذا رقم الحديث في الجامع بين الصحيحين، و(ق) تعني أنه متفق عليه، و(ابن عمر) هو راوي الحديث، و[ت ٢٦٠٩] تعني أن حديث ابن عمر الذي في الصحيحين موجود عن الترمذي برقم (٢٦٠٩)، و[ن ٥٠١٦] تعني أن الحديث عند النسائي بهذا الرقم.

وبهذا علمنا أن حديث ابن عمر المتفق عليه قد أخرجه الترمذي وكذلك النسائي، وفي السطر الثاني

(٢) هو رقم الحديث في الجامع، و(أنس) هو راوي الحديث، و[ت ٦١٩] هو رقم الحديث عند الترمذي، و[ن ٢٠٩٠] هو رقمه عند النسائي، و(مي ٦٥٠) هو رقمه عند الدارمي.

وفي السطر الثالث بدأ ذكر أول حديث من الأحاديث الزائدة على ما في الصحيحين و(ن جه) رمز إلى أنه مخترج عند النسائي وابن ماجه. وفي آخر الحديث بيان لرقم الحديث عند النسائي وابن ماجه.

فالخط العام ذكر أحاديث الصحيحين في أول كل باب بأرقامها وبيان هل هي متفق عليها أو من رواية البخاري أو مسلم، ثم ذكر راوي الحديث، ثم ذكر من خرَّجه من الكتب الخمسة، بذكر رموزها وأرقامها.

وإذا لم يكن الحديث الذي في الصحيحين قد خرَّجه أحد من أصحاب الكتب الخمسة، فإني أذكره - مع ذلك - برقمه واسم راويه، دون ذكر شيء، إشارة إلى أن هذا الحديث لم يُذكر في السنن.

وإذا كان في الحديث المخرج في السنن زيادة على الحديث في الصحيحين، فإني أذكر هذه الزيادة. والمثال على ذلك ما جاء في (٤٨/١):

[٥٤-ق] ابن عباس [مي ٢٧٨٦].

• زاد الدارمي في أوله (إن ربكم رحيم..)

وبهذا المعنى فإن كتاب «زوائد السنن» يحتوي على أحاديث الصحيحين جميعها، وكامل الكتب الخمسة.

أما ما كان من الكتب الخمسة مخرَّج في الصحيحين أو أحدهما فإنه مذكور برقمه، وأما ما لم يكن مخرَّجاً فيهما أو في أحدهما، فهو «الزائد» وهو مذكور بنصّه.

وهذه الطريقة وضعت بين الأيدي كل المعلومات التي يطلبها الباحث.

- فأحاديث الكتب الخمسة مذكورة بكاملها.

فما كان مشتركاً مع الصحيحين فهو مذكور بأرقامه.

وما لم يكن كذلك، فهو «الزوائد على الصحيحين» وهي مذكورة بنصّها.

- وأحاديث «الجامع بين الصحيحين» مذكورة بكاملها بأرقامها، في أوائل الأبواب بحيث لو أراد باحث أن يرجع إلى حديث الصحيحين، ليعرف من خرّجه من أصحاب السنن، لسهل عليه ذلك، وإذا كان الحديث لم يخرجّه أحد من أصحاب السنن، عرف ذلك، بعدم ذكر أرقام أو رموز أمامه.

إنه عمل جديد في جمع الزوائد، فيه من التوثيق ما يجعل القارئ مطمئناً إلى سلامة العمل. فكل حديث موجود إما رقماً وإما نصّاً.

زوائد الموطأ والمسند على الكتب الستة

راودتني فكرة استخراج زوائد الموطأ والمسند على الكتب الستة، وذلك لاستكمال الكتب التسعة.

ولكن قصة وقعت لي بشأن طباعة كتاب «مشارك الأنوار» الذي كنت حققته وأعدتُ ترتيبه - مما سيأتي بيانه - جعلتني لا أقدم على عمل حتى أجد الدار التي سوف تنشره.. ومَرّت الأيام..

وجاءني الأخ الكريم الأستاذ باسل الفوزان وقال: إن كتاب «الجامع بين الصحيحين» كتاب مفيد لعامة طلاب العلم، وهناك «مؤسسة الراجحي الخيرية» تطبع الكتب المفيدة وتوزعها مجاناً، فلو قدّمت لهم نسخة من الجامع لعلمهم يقومون بطباعتها وتوزيعها.

واشتريتُ نسخة من الكتاب، وصحبتُ هذا الأخ مساء أحد الأيام إلى مركز هذه المؤسسة، حيث التقيتُ بالمسؤول فيها.. وقدمتُ له الكتاب، وجرى الحديث حول كتب السُّنة، وكان فيما تحدثت فيه فكرة استخراج «زوائد الموطأ والمسند على الكتب الستة» وذكرت له أنني متوقف عن البدء بهذا المشروع حتى أجد الدار التي تتعهد طباعته.

فتشجع للمشروع وسألني كم سيكون حجم الكتاب؟ قلت أتوقع أن يكون في ثلاثة مجلدات، فقال: الأمر يسير، فنحن نقوم بطباعته، فهو كتاب صغير ونحن نطبع الكتب ذات العشر مجلدات وأكثر.. وشجعني على البدء بالعمل. وخرجتُ منشراح الصدر.. وباشرتُ بالعمل.



ومن المعروف أن المسند للإمام أحمد كتاب كبير، وهو مرتب على المسانيد، فأحاديث كل صحابي تُذكر في مكان واحد بغض النظر عن موضوعاتها. وبعد التفكير في كيفية القيام بالعمل والطريقة التي ينبغي اتباعها..

رأيتُ أن أعتمد كتاب «زوائد السنن» أساساً، وقد سبق أن الكتاب يحتوي على «الجامع بين الصحيحين» بذكر أرقام أحاديثه ورواتها، ويحتوي على أحاديث الكتب الخمسة وهذا يعني أن الكتاب يحتوي على الكتب السبعة، الكتب الستة إضافة إلى أحاديث الدارمي.

وكانت الخطة بالشكل التالي:

أن آخذ المجلد الأول من المسند - طبعة الرسالة - وبين يديَّ «الجامع بين الصحيحين» وكتاب زوائد السنن، وبين يديَّ الملفات التي كنت استعملتها في الكتابين السابقين وبدأتُ بالمجلد الأول حديثاً حديثاً..

فأنظرُ في الحديث، وأحدّد موضوعه، ثم أفتح كتاب الجامع وكتاب الزوائد على ذلك الموضوع.

(١) فإن وجدتُ الحديث في كتاب «الجامع بين الصحيحين» قارنت بين رواية المسند، ورواية الجامع، فإن طابقتها فذاك، وإن كان هناك زيادة أو نقصان فإنني أذكر ذلك.

وذلك بذكر رقم حديث المسند مع الملاحظات - إن وجدت - على الهامش الأيمن أو الأيسر من كتاب «الزوائد» عند ذكر رقم حديث الجامع بين الصحيحين.

(٢) وإن لم أجد الحديث في الجامع ووجدته في أحاديث زوائد السنن، فإنني أذكر رقم حديث المسند على الهامش إلى جانب حديث الزوائد، وبعد المقارنة بين النصين أذكر إلى جانب رقم المسند الملاحظات إن وجدت.

(٣) وإن لم أجد الحديث في «الجامع» ولا في «زوائد السنن» فهذا يعني أن الحديث من زوائد المسند على الكتب السبعة، فإنني أسجله في بطاقة، وأضعه في ملف الموضوع الذي ينتمي إليه ذلك الحديث.

وهكذا، وبعد إنتهاء العمل، أصبحت حاشية كتاب «زوائد السنن» مكاناً لذكر أرقام أحاديث المسند المخرّجة في الصحيحين، أو في السنن، مع ذكر الملاحظات المتعلقة بها.

وما لم يكن مذكوراً فيها فهو من «زوائد المسند» فإنه قد أخذ مكانه في الملفات.

وقد استغرق ذلك وقتاً طويلاً، وصبراً على العمل، فالمسند تقارب أحاديثه (٢٨) ألفاً، وكل حديث خضع لهذه العملية

• • •

ومما يحسن ذكره: أن المحققين للمسند في طبعة الرسالة، قد ذكروا في الحاشية:

- أرقام الحديث عندما يتكرر.
- كما أشاروا إلى من خرّج الحديث من الصحيحين أو السنن..
- وقد ساعد ذلك كثيراً في الاستفادة من الوقت، كما ساعد على المقارنة بين نصوص الحديث الواحد لاختيار النصّ الأشمل.

ولم يكن هذا الأمر مستمراً أو مستوعباً، فهناك أحاديث لم تخرّج وأحاديث لم تذكر مكرراتها.

وهذا لا يؤثر في سير العمل لأن هذا سيكتشف من خلال سير العمل وفقاً لخطة العمل السابق ذكرها.

* * *

وبعد انتهاء المسند، سرّْتُ في «الموطأ» بالطريقة نفسها.

* * *

وهكذا تمّ العمل، وأصبح الكتابان «الموطأ والمسند» جاهزين على هوامش كتاب «الزوائد»، وفي الملفات.

وجاء دور المرحلة الأخيرة وهي تسجيل الكتاب في شكله النهائي، وذلك بعد ترتيب «الأبواب» ضمن كل فصل من الفصول.

ففي كل باب من الأبواب يذكر:

- ١ - الأحاديث التي انفرد بها المسند، وهي زوائد المسند على الكتب السبعة.
- ٢ - الأحاديث التي انفرد بها الموطأ، وهي زوائد الموطأ على الكتب السبعة.
- ٣ - الأحاديث التي خرّجت من المسند والموطأ في الصحيحين أو أحدهما، وذلك بذكر أرقامها.
- ٤ - الأحاديث التي خرّجت من الموطأ والمسند في السنن، وذلك بذكر أرقامها.

وهذان النوعان قد أخذنا من حاشية السنن وبهذا أصبح الكتاب جاهزاً ليُدفع به إلى الطباعة.

• • •

واتصلتُ بالأستاذ باسل الذي رافقني إلى مؤسسة الراجحي، وأخبرته بانتهاء جمع الكتاب وطلبتُ منه موعداً للذهاب لتقديم الكتاب إلى المؤسسة.

وبعد أيام جاءني ليخبرني أن المؤسسة تطلب تزكية اثنين من العلماء للكتاب حتى يتم طبعه.

وقد فوجئت بهذا الطلب، وقلت له: لن أستجدي أحداً بتزكية، ولم أطلب من أحد من قبل أن يقدم لي كتاباً، فإن الكتاب الذي لا يقف على قدميه بقوته الذاتية - بعد توفيق الله تعالى - لا يستحق أن يكون عملاً يقدم للناس.

ويسّر الله بعد ذلك أن قامت دار «كنوز إشبيليا» في الرياض بطباعته مشكورة.

* * *

أقول: ومن فضل الله عليّ أن وفقني لإخراج كتاب «زوائد السنن» بالشكل الذي خرج فيه، حيث ذكر كامل أحاديث الصحيحين بأرقامها، فقد ساعد ذلك بشكل كبير في إنجاز العمل في «زوائد المسند» وكان هذا وغيره من تيسير الله تعالى لإخراج هذا العمل. وإنما فعلت ذلك لتوثيق العمل، ولم يدر بخلدي أنه ستكون له هذه الفائدة.

* * *



جامع الأصول التسعة

أحمد الله تعالى أن يسر - بعونه - إخراج الكتب الثلاثة، التي سبق الحديث عنها، فهي تجمع كتباً تسعة تعدّ أهمّ كتب السُّنة المطهّرة.

وبظهور الكتاب الثالث منها وجدتني مطمئن النفس مرتاح البال، حيث أصبح من الميسر لكل طالب علم يريد مراجعة بحث، أن يعيّن مكان الرجوع إليه في هذه الكتب ثم يفتح هذه الكتب الثلاثة على الفصل المطلوب، فيجد حاجته، وذلك في يسرٍ وسهولة، لأن هذه الكتب قد رُتبت على نسقٍ واحد.

وانصرفتُ بعد ذلك إلى متابعة العمل في أهمّ الكتب الأخرى، وهي التي تلي «الكتب التسعة» من حيث المكانة العلمية، فعملت على استخراج زوائد «السنن الكبرى» ثم زوائد «ابن خزيمة وابن حبان والمستدرک» ثم «الأحاديث المختارة»..

وخلال هذا الوقت غير القصير، كنت أفكر في جمع الكتب التسعة في كتاب، تسهياً على طلبة العلم، ثم أدفع هذه الفكرة بأن الكتب الثلاثة المكوّنة للتسعة متوفرة، ومن السهل على الباحث طلب ما يريد.

واستمر ترددي في الأمر، حتى زارني أخ فاضل من أهل الاختصاص والعلم.. ومن جملة ما تطرق إليه الحديث.. التفكير في جمع الكتب الثلاثة المكونة للكتب التسعة..

فحثني على القيام بهذا العمل دون تأخير، وكان مما قاله: إن هذا العمل ربما سطا عليه أحدهم وقام به وأخرجه باسمه.. وإذا حدث هذا فلن يكون بالإتقان والمواصفات التي ستقوم بها أنت.. وعندها سنكون أمام أمرين: سرقة العمل، وسوء إخراجه..

وهنا تبادر لذهني الاعتداءات والسرقات التي تعرض لها بعض ما يسر الله لي إنتاجه من أعمال، فاعتدي على «سلسلة الظاهرة الجمالية» أكثر من مرة، واعتدي على بعض بحوث في السيرة، واعتدي على «الجامع بين الصحيحين» وعلى التقسيمات والعناوين التي وضعتها لكتاب «المواهب اللدنية».. والحمد لله، فإنما يعتدى على الأشياء الثمينة.

إن كلام الأخ الكريم دفعني إلى المبادرة للقيام بهذا العمل.

وكان أمامي خياران، أن أجمع الكتب التسعة، أو أجمع الكتب الأربعة عشر التي تم استخراج زوائدها، والتي سبق ذكرها قبل قليل.

وبعد تفكير في الأمر رأيتُ الاختصار على الكتب التسعة لأمرين:

الأول: تقديمي في السن وضعف الهمة في مقابل كبر حجم العمل لو جمعت كل ما تم إنجازه، وخوفي أن يوافيني الأجل قبل إنجاز العمل فيضيع كل ما بذل من جهد، فكم من كتب لم يتمها مؤلفوها فضاعت..

الثاني: أن الكتب التسعة، هي التي قدمها علماء الأمة على غيرها، ورأوا فيها ما يغني عن غيرها، بل إنهم رأوا في الكتب الستة الكفاية لطالب العلم.. وعلى هذا ففي الكتب التسعة ما يغني عن غيرها.
وباشرتُ العمل..

كيف تم جمع الكتب التسعة:

سبق القول بأن الكتب المكوّنة للكتب التسعة هي ثلاثة:

- ١ - الجامع بين الصحيحين.
 - ٢ - زوائد السنن على الصحيحين (وهي خمس سنن كما سبق شرح ذلك).
 - ٣ - زوائد الموطأ والمسنَد على الكتب السبعة.
- وبجمع المادة الموجودة في هذه الكتب نحصل على ما حوته الكتب التسعة من أحاديث وآثار ومعلقات وغير ذلك.
- وسبق القول بأن هذه الكتب ذات ترتيب واحد من حيث الأبواب والفصول والكتب والمقاصد.

وبدأت العمل بأن وضعت بين يدي الجزء الأول من كل كتاب من الكتب الثلاثة وفتحت على الباب الأول في هذه الكتب.

• وكانت الخطوة الأولى هي تسجيل الحديث الأول من «الجامع بين الصحيحين» ثم النظر في رقم الحديث في كتاب «زوائد السنن»، للنظر هل من زوائد على الحديث في «السنن» فإن هناك زيادة أو زيادات نقلت ووضعت تحت الحديث، ثم النظر بعد ذلك في رقم الحديث في «زوائد الموطأ والمسنند» للنظر إذا كان هناك زيادة على الحديث في المسند والموطأ. فإن وجدت نقلت ووضعت تحت الحديث بعد ملاحظات زوائد السنن إن وجدت.

وهكذا أصبح الحديث الأول من الصحيحين مدوناً وتحت الزوائد عليه في «السنن» ثم الزوائد عليه في «الموطأ والمسنند» وبهذا تمّ جمع كل المادة المتعلقة بهذا الحديث في الكتب الثلاثة.

وهكذا يستمر العمل في أحاديث الباب الأول في «الصحيحين».

• ثم أنتقل إلى كتاب «زوائد السنن» فأنقل الحديث الأول من الباب الأول في «زوائد السنن» فأضعه تحت أحاديث الصحيحين، ثم أنظر في رقمه المذكور في «زوائد الموطأ» هل عليه من زيادة في الموطأ والمسنند، فإن وجدت زيادة نقلتها ووضعتها تحت الحديث ويستمر العمل هكذا في جميع أحاديث الباب الأول من «زوائد السنن».

• فإذا انتهيت انتقلت إلى الباب الأول من كتاب «زوائد الموطأ والمسند» فانقل أحاديثه وأضعها تحت أحاديث السنن.

وبهذا يستكمل «الباب الأول» في جامع الأصول التسعة وأصبح ترتيبه كما يلي:

- أحاديث الصحيحين، وتحت كل حديث الزيادات عليه من «السنن» و«الموطأ والمسند».

- وأحاديث السنن، وتحت كل حديث منها الزيادات عليه من «الموطأ والمسند».

- أحاديث الموطأ والمسند.

لم يكن في العمل مشقة، ولكنه كان يحتاج إلى صبر وأناة، فمعظم الأحاديث تشتمل على روايات زائدة على الرواية «الأصل» المختارة، فترتيب هذه الزيادات وتنسيقها والمقارنة بينها لحذف بعض ما تكرر، كان يحتاج إلى الوقت.

فالعمل مراجعة كاملة لكل حديث على انفراد..

وتَمَّ العمل - بحمد الله - وخرج الكتاب في (١٤) مجلداً، يتناسب ظاهره وحسن إخراجهِ مع نفاسة ما يحويه، فكان التوافق بين الشكل والمضمون، والحمد لله.

ومن المهم أن أذكر أن تصحيح هذا الكتاب استغرق وقتاً غير قليل، وتكرر لكل جزء أكثر من مرة، بذلتُ جهدي في

أن يكون نظيفاً، ولعلي بلغتُ بعض ما أريد، ولكن كل عمل يظل عرضة للخطأ، فتلك طبيعة عمل البشر.

وأخيراً:

فإن كتاب «زوائد السنن على الصحيحين» وكتاب «زوائد الموطأ والمسند على الكتب الستة» قد أصبحا ضمن كتاب «جامع الأصول التسعة» وهو يغني عنهما.

• • •

حمد وشكر لله تعالى:

وبعد: فإن هذا الكتاب كان خلاصة جهود كبيرة، استغرقت أياماً كثيرة، ولولا أن يسّر الله تعالى الخطأ، بحيث كانت كل خطوة تكمل ما سبقها في الاتجاه الصحيح، لما كان هذا الكتاب.

وما كنت أقدر أو أفكر عندما رتبت هذه الكتب الثلاثة - المكونة لهذا الكتاب - أن هذا الترتيب سيساعدني في إخراجه، وإنما كان ترتيبي لها بقصد التوثيق، فصادف أن كان عاملاً مساعداً - بل أصيلاً - في الجمع، فله الفضل والمنة سبحانه وتعالى، وله الحمد والشكر على ما أنعم وتفضل.

* * *

كلمة شكر:

وهنا أرى من الواجب أن أتقدم بالشكر إلى الأستاذ بلال الشاويش القائم على إدارة «المكتب الإسلامي» على ما بذل من جهد في سبيل إخراج الكتاب بالشكل الذي ظهر به، والذي يتناسب مع مكانته.

* * *

ثمرات الكتاب:

وأما الثمرات التي يقدمها هذا الكتاب لطالب العلم فكثيرة، أذكر ثلاثاً منها:

الأولى: أنه يوفر الوقت، وليبيان ذلك أقول: بلغت أحاديث الكتاب (١٦٦٤٦) وعدد أحاديث الكتب التسعة (٦٧٤٥٣)، والرقم الأول أقل من ربع الرقم الثاني، وهذا يعني أنه يوفر على الطالب أكثر من ٧٥٪ من الوقت لو أراد الرجوع إلى أحاديث الأصل. أي أنه يوفر عليه قرابة ٨٠٪ من الوقت.

والثانية: أنه يوفر عليه الجهد، فهو عندما يريد تحضير بحث ما، يرجع إلى كتاب واحد، ولو أراد الرجوع إلى الأصل، فعليه أن يرجع إلى تسعة كتب، يرفع مجلداً ويضع آخر.. وبعودته إلى كتاب واحد يكون قد وُفّر على نفسه $\frac{٨}{٩}$ من الجهد، أي أكثر من ٨٠٪.

والثالثة: أنه يوفر على نفسه مقارنة النصوص بعضها مع بعض، وحذف المكرر، ومعرفة الزيادة إن وجدت..
إنها ثمرات يانعة يقدمها هذا الكتاب، يقدرها حق قدرها الباحثون.

* * *

كلمة فضيلة الدكتور ذياب الغامدي

كان الكتاب قد انتشر ذكره على وسائل التواصل قبل أن يصدر، وكثيرة كثيرة هي الهواتف التي جاءتني تسألني عن موعد صدوره..

ولما وصل الكتاب إلى المكتبات، جاءتني اتصالات كثيرة من مدن المملكة ومن خارجها تهنيئ بصدور الكتاب وتشني عليه خيراً.

وبعد أيام قليلة اتصل بي من مكة المكرمة فضيلة الأخ الأستاذ عبد الله العوبل، قائلاً: هل قرأت المقال عن كتابك «الجامع» قلت: وأي مقال تقصد؟ فقال: ارجع إلى المقال الذي كتبه فضيلة الدكتور ذياب الغامدي ونشره على موقع «ملتقى أهل الحديث».

وهو جواب على سؤال تلقاه من بعض طلاب العلم عن كتاب «جامع الأصول التسعة».

وأرى أنه من المستحسن أن أضع هذا المقال أمام القارئ وأترك تعليقي عليه ليكون في آخره تعقيماً عليه:

قال فضيلة الدكتور ذياب الغامدي:

بسم الله الرحمن الرحيم

فقد سألني كثير من طلاب العلم ولا سيّما المتخصّصين بكتب الحديث قراءة وتدرّيساً وحفظاً... عن الكتاب الموسوعي الذي أصدره الشيخ: صالح بن أحمد الدُّومي الشامي، تحت عنوان: «جامع الأصول التسعة»، وما له، وما عليه.

قلت: وعليه؛ فهذه بعض الإضاءات حول كتاب الشيخ الشامي، بشيء من الاختصار، والله الموقّق.

لا شكّ أنّ الشيخ الشامي حفظه الله: هو ربيب بيوتات العلم المشهورة في بلاد الشّام، وأباه أحد شيوخ المذهب الحنبلي في عصره ومصره لذا؛ فليس بغريب أن يكون هذا الشيخ من أصحاب السُّنة والأثر، اقتداء بإمام أهل السُّنة والجماعة أحمد بن حنبل، إمام كل حنبليّ.

هذا وإذا علم الجميع أن الشيخ صالحاً الشامي قد أصدر مجموعة من الكتب الحديثيّة، التي يمثّل غالبها زوائد كتب السُّنة، ابتداءً بكتابه: «الجامع بين الصحيحين»، ومروراً بكتاب «زوائد الموطأ والمسند»، و«زوائد ابن خزيمة وابن حبان والمستدرّك»، و«زوائد السنن الكبرى للبيهقي»، و«زوائد الأحاديث المختارة للضياء المقدسي»، وانتهاءً بكتاب «جامع الأصول التسعة».

ومن نظر في مجاميع كتب الشيخ الشامي، وفي تصاريف مُعَنُونَاتِهَا: علم أنه أحد أعلام العصر الذين رفعوا أعلام «فَنَّ الزَّوَائِدِ» الذي كاد أن يندثر، إلا في بقايا من غُبَارَاتِ بعض المشتغلين بالسُّنَّة من أهل عصرنا.

فعندها رפרفت أعلام السُّنَّة بما صنعه الشامي من خلال مَعْلَمَةٍ كبيرة ومَشْرَعَةٍ مباركة، تحت عنوان: «جامع الأصول التسعة»، أي: جامع أحاديث كتب السُّنَّة التسعة التي تعتبر عند علماء الإسلام: أصولاً للسُّنَّة، ومرجعاً للأُمَّة وهي: الصَّحِيحان (البخاري ومسلم)، والسُّنَنُ الأربعة (الترمذي وأبو داود والنسائي وابن ماجه)، وموطأ مالك، ومسنَد الإمام أحمد، وسنن الدارمي.



ومن هنا؛ فَإِنِّي أَحْبَبْتُ أَنْ أَذْكُرَ إِخْوَانِي طلاب العلم بشيء من الخصائص والمميزات التي أخذت بمجاميع كتاب: «جامع الأصول التسعة»، وذلك من خلال إضاءات مختصرة، وإشارات معتصرة، ولا سِيَّما أَنَّنِي قد قَلَّبْتُ كثيراً من صفحاته، ووقفت على مجموع حواشيه، وعارضت غالب مجلَّداته، وتصفَّحت معظم فهرسه، فمن ذلك باختصار:

أولاً: أَنَّ هذا الكتاب يعتبر واحداً من أجمع كتب السُّنَّة المطبوعة في هذا الوقت؛ لكونه جمع أصول كتب السُّنَّة دون خلاف بين أهل السُّنَّة، وهي: الصَّحِيحان، والسُّنَنُ الأربعة، والموطأ، والمسنَد، وسنن الدارمي.

ثانياً: أنّه نظم كتابه من خلال ترتيب بديع يتماشى مع مناهج أصحاب «السُّنن الأربع» في ترتيب أبوابهم؛ خلافاً لطريقة أصحاب المسانيد، والمعاجم ونحوها وهذا في حدّ ذاته من اليُسْر والتَّقْرِيب والترتيب الذي يعرفه أهل العلم عاقّة، وأصحاب الحديث خاصّة، كما هو سائر في مناهجهم قديماً وحديثاً.

ولولا ذا؛ لأصبح كتاب «المُسْنَدِ الْمُصَنَّفِ الْمُعْلَلِ» الذي ألفه المحقق الكبير بشّار عوّاد وجماعة؛ آية من آيات مصنّفات أهل العلم قديماً وحديثاً دون منازع، فعساهم يرتّبونه على طريقة كتب أهل السُّنن في طبعته الجديدة، والله الموقِّ للصواب.

وذلك في الوقت الذي لم تزل تتنادى فيه بعض المشاريع الجامعة لكتب السُّنّة يوماً بعد يوم، وللوعود عهود، ونحن بالانتظار.

ثالثاً: أنّه قرّب أحاديث الكتب التسعة تقريباً لا مثيل له؛ حيث أنه لم يتجاوز شيئاً من أحاديث الكتب التسعة إلّا وضمّنه كتابه، سواء كانت أحاديث مرفوعة، أو معلقات، وهذا الجهد الكبير، والجمع الوفير؛ ممّا يقطع بتقدّم كتاب الشامي على كتاب «جامع الأصول» لابن الأثير رحمّه الله، لأمر ليس هذا محلّ ذكرها، فمنها باختصار:

(١) أنّ ابن الأثير رحمه الله لم يعتمد أصول الصحيحين (البخاري ومسلم)، بل اعتمد على «الجمع بين الصحيحين»

للحميدي رحمته الله، وهذا الصنيع فيه ما فيه، هذا إذا علم الجميع أنّ كتاب الحميدي لم يقتصر على جمع أحاديث الصحيحين فقط، بل كتابه يعدّ واحداً من كتب المستخرجات على الصحيحين في الجملة.

(٢) أنّه لم يضمن «سنن ابن ماجه» في جامع، وإن كان هذا ضرباً من الاجتهاد؛ إلا أنّه محلّ نظر وانتقاد عند بعض أهل العلم الكبار.

(٣) إنّّه لم يعتمد على أصل «الموطأ»، بل اعتمد على جمع ابن رزين رحمته الله.

وهذا ما يدلّنا على وجود خلل ظاهر على «جامع» ابن الأثير رحمته الله، لا يسعها هذا المقال.

رابعاً: أنّه حذف أسانيد الأحاديث إلا ما توقّفت عليه الفائدة، سواء كانت في متنه أو سنده، ممّا يعرفه أهل العلم وما ذا الحذف؛ إلا أنّ الشامي أراد بكتابه أن يكون مقرباً لمجموع أحاديث الكتب التسعة بين يدي عاثة المسلمين؛ لأنّ البحث والتنقيب عن الأسانيد لهو من شأن الخاصّة، ممّن لهم عناية بالصناعة الحديثيّة، الشيء الذي لم يقصده الشامي في كتابه هذا؛ فتأمّل.

خامساً: أنّه لم يكتف بحذف مكرّرات الأحاديث دون ذكر لها، بل ذكرها تحت أرقام دالّة لمظانها؛ قد أحاطت بكلّ حديثٍ مكرّرٍ وهذا الصنيع يعتبر: اختصاراً دقيقاً لا يحسنه إلا

من وفّقه الله؛ حيث أنّه جمع بين طريقة الحذف وطريقة الجمع، فلا هو محذوف معنًى ولا هو مذكورٌ مبنيّ، بل كلّ حديث مكرّر جاء مُقيّداً تحت رقم دالّ على موضعه وموطنه في كتاب: «جامع الأصول التسعة».

سادساً: أنّه لم يكتف بسرد الأحاديث دون بيانٍ لغريبتها، وذكر لبعض فوائدها، ممّا قد يَسْتَعْلِقُ فهمها على كثيرٍ من المسلمين؛ حيث دَبَّجَ كثيراً منها بكلام أهل العلم المعترين، لا سيّما البغوي، والنووي، وابن حجر، وغيرهم.

سابعاً: أنّه لم يتجاوز كثيراً من مسائل العقيدة إلّا وقد مسّها بشيء من التوضيح والبيان ممّا هو جارٍ على منهج أهل السُّنة والجماعة وفوق ذلك أنّه: ذكر ضابطاً عزيزاً في التعامل مع كلّ أحاديث الأسماء والصفات؛ حيث قال حفظ الله معلّقاً على حديث (١٠٣) (١١٠/١):

قاعدة أهل السُّنة والجماعة في باب الأسماء والصفات، كما يلي:

«أنّهم في باب الإثبات: يثبتون ما أثبتته الله تعالى لنفسه ممّا جاء في الكتاب والسُّنة الصحيحة على الوجه اللائق به من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل.

وأنّهم في باب النفي: ينفون ما نفاه الله تعالى عن نفسه في الكتاب والسُّنة مع إثبات كمال ضدها لأنّ التّفي المحض عدم، والعدم ليس شيئاً؛ فضلاً أن يكون كمالاً وعليه؛ فإنّهم

إذا نفوا عن الله تعالى مثلاً: العجز أثبتوا له كمال القوة، وإذا نفوا عنه السُّنة والنُّوم أثبتوا له كمال القيوميّة، وإذا نفوا عنه الولد أثبتوا له كمال الوجدانيّة، وهكذا، وعلى هذه القاعدة: فقد أجمع أهل السُّنة والجماعة سلفاً وخلفاً» انتهى.

وهذا الضابط الذي ذكره الشيخ: لم يدع لأهل الأهواء والبدع باباً يُلجُون إليه، أو ملجأً يتطرَّقُونَ من خلاله إلى إثارة قالاتهم أو تسويق مقالاتهم، فجزاه الله عن السُّنة وأهلها خير الجزاء.

وانظر ما قاله معلقاً تحت الأحاديث الآتية: (٥٨٨)، و(٨٣٧)، و(٤٥٩٦)، و(٤٨٢٢)، و(٨٢٣٧)، و(١٠٣٤٤)، و(١٤٤٦٦)، وهذا الحديث الأخير يتعلّق بمسألة «صورة الرّحمن»، وهو من أحاديث أهل السُّنة والجماعة التي تميّزوا بها عن غيرهم من أهل الأهواء والبدع، وعليه فقد حرص الشيخ الشامي في هذا الحديث الحق الذي عليه منهج أهل السُّنة والجماعة، فجزاه الله خيراً.

ثامناً: أنّه لم يكتف بسرد الأحاديث دون بيان لحكمها صحة وضعفاً، ردّاً وقبولاً، ممّا هو خارج عن الصّحيحين، مستأنساً بأحكام من سبقه من أهل العلم، لا سيّما ما ذكره محدّث العصر الألباني رحمه الله، وما ذكره أصحاب «مؤسسة الرّسالة» في تحقيقهم لـ «المسند»، وعبد القادر الأرناؤوط، وحسين الداراني رحمهما الله تعالى، وغيرهم من المحقّقين، وهذا في حدّ ذاته، يعتبر من مهمّات فنون التّأليف، ومن درر جماليّات كتب السُّنة، فجزاه الله خيراً.

وبهذا، يكون الشيخ الشامي قد قَرَّبَ لعموم المسلمين: أحكام أحاديث «الجامع» في الجملة، أمّا من أعطاه الله بصيرة في منازعة الأحاديث النبويّة من خلال محاكمتها ردّاً وقبولاً؛ جرحاً وتعديلاً؛ فله أن يركن إلى صناعته الحديثيّة، وأمّا من كان دون ذلك فيسعهم تقليد أهل الشأن من جهابذة الحديث من المتقدّمين والمتأخّرين، لا سيما ممن قلدهم الشيخ الشامي في كتابه هذا، استناداً لقوله تعالى: ﴿فَسَلُّوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأنبياء: ٧].

تاسعاً: أنّه اعتمد في كتابه: «جامع الأصول التسعة» على طبعات معتمدة في الجملة، ممّا مضى عليها النَّاس قديماً؛ لا سيّما أهل العلم المعتبرين، دون الوقوف كثيراً مع الطبعات الجديدة إلّا ما سيأتي ذكره إن شاء الله.

ولم يكن إغفال الشيخ الشامي عن جديد الطبعات رغبةً عنها، كلّاً بل لعلمه السابق: أنّ مسألة تحقيقات كتب السُّنة لا تقف عند طبعة دون أخرى، أو رجل دون غيره، فهي من مسارح الخلاف الذي لا ينتهي غالباً إلى حدّ يوضحه؛ أنّ محقّقي «كتب السُّنة» من أهل زماننا: لم يرض كثيرٌ منهم صنيع الآخر، بل حسبك أنّ «صحيح البخاري» على جلالته وعظيم موقعه: لم يقع موقع الرّضا عند كثير من أرباب التحقيق من أهل زماننا، بل لم تزل دعاوي كثير من المحقّقين: تلاحق الآخرين بالتهديد والوعيد، وآية ذلك؛ أنّك لا تفرح بكتابٍ قد حقّقه صاحبه تحقيقاً علمياً؛ إلّا وسرعان

من يأتي من المحققين من ينقض غزله، ولو بشيء من الاستدراكات اليسيرة التي لا يسلم منها كتاب فضلاً عن تحقيق، سوى القرآن.

وإن كنا جميعاً لا نقلل قدرأ من أهمية تحقيق كتب السنة وغيرها؛ لأنَّ التحقيق العلميَّ يعتبر إحياءً للكتب بعد مواتها؛ لكننا في الوقت نفسه نعيب على من يحمل الناس على طبعه دون أخرى؛ لا سيَّما إذا كانت تَلْكُم الطَّبعة التي اعتمدها صاحبها: مشهورة متداولة، وقد قُرأت على أهل العلم، وتناقلوها دون نكير.

لذا؛ فاعتماد الشيخ الشامي على شيء من مطبوعات كتب السنة ممَّا هو مقروء على أهل العلم، ومشهورٌ بينهم: لا تثريب فيه، علماً أنَّ الشيخ حفظه الله لم يغفل هذا الباب، بل تراه قد عارض بعض كتب السنة المطبوعة قديماً بمطبوعاتها الحديثة: كالمسند، وسنن الدارمي، وشيء من سنن الترمذي في ملحقاته، وغيرها.

ومن لطائف ما ذكره الشيخ عند معارضته لمطبوعات «المسند»: وقوفه على فائدةٍ عزيزةٍ بها: قطعت جبهة قول كل خطيب، بل إخالها كشفت لنا كثيراً من دعاوي محققي العصر إلَّا ما رحم ربك، وهو ما ذكره بعد دراسته للأحاديث التي استدركتها طبعة «دار المنهاج» على «مؤسسة الرسالة» في أكثر من مائة حديث: بأنَّها من مكررات «المسند»؛ باستثناء سبعة أحاديث، أربعةٌ منها انفرد بها الإمام أحمد عن الكتب

الثمانية (وقد ذكر أرقامها)، ثم قال بعدها: وقد تمَّ وضع هذه الأحاديث وفقاً لموضوعاتها في هذا الكتاب، وأمّا الثلاثة الأخرى (وقد ذكر أرقامها)، فالأوّل والثاني أخرجهما البخاري، والثالث أخرجه الدارمي، وهذه لطيفة تحسب للشيخ الشامي حفظه الله.

قلت: ليت القائمين على تحقيق «المسند» في «دار المنهاج» قيّدوا هذه الأحاديث الثمانية أو المائة، ودفعوها لإخوانهم في «مؤسسة الرّسالة» كي يستدركوها في طبعتهم الجديدة ليس إلّا، أو ليتهم نشروها بين أيدي إخوانهم طلاب العلم، والسلام ختام.

وقال الشيخ أيضاً عن طبعة «سنن الدارمي»: أنّه اعتمد أولاً على تحقيق فوز زمرلي وخالد السبع، ثمّ قارنها أيضاً على تحقيق مصطفى البغا، ثمّ لم يكتف بذلك؛ حيث قال: ثمّ صدرت مؤخّراً طبعة بتحقيق الأستاذ حسين الداراني، وقد قارن الأحاديث التي انفرد بها الدارمي عن الكتب الثمانية، وعدّل أرقامها، ليس إلّا.

كما أنّنا مع هذا التّنبية عن مسرح تحقيق الطبعات؛ لا نشني عزيمة الشيخ الشامي حفظه الله في طبعته الثانية لكتابه: «جامع الأصول التسعة»: بأن يعارض ويراجع مصادره على مطبوعاتها الجديدة المحقّقة تحقيقاً علمياً؛ ولا سيّما ما حقّقه مؤسسة الرّسالة: للصّحّاحين، والسنن الأربع، وكذا ما حقّقه «دار التّأصيل»، وغيرهما.

عاشراً: أنه طوى مقدمة كتابه على درر حديثية وإحصائيات رقمية لم يسبق إليها فيما أعلم: ما بين تعداد لأحاديث الكتب التسعة، وبيان مكرراتها، وتمييز زوائدها ممّا يستملحها أرباب النظر ويحار أمامها رواد الفكر؛ فله درّه، وعلى الله أجره.

الحادي عشر: أنه ختم كتابه بفهارس جامعة مفيدة قد أتت على جميع دلالات أحاديث الكتب التسعة: لفظاً ومعنى، فجزاه الله خيراً!

الثاني عشر: أن كتابه «جامع الأصول التسعة»: قد خرج في أربعة عشر مجلداً، والأخير منها: عبارة عن فهارس شاملة علمية، كما مرّ معنا، كما أنه طبع طبعة جميلة متدثرة بثوب قشيب، وحلة بهيئة، وقد تولى كلّ ذلك: «المكتب الإسلامي»، فجزى الله القائمين عليها خير الجزاء.

الثالث عشر: أن الجميع يعلم يقيناً أن مثل هذا المشروع الكبير، والعمل العظيم الذي يضمّ بين دفتيه: جمع وترتيب وتحقيق أحاديث الكتب التسعة؛ لهو من الأعمال التي لا يقواها، ولا يطيقها إلا كوكبة من أهل الحديث المتخصّصين.

لكنّ العجب لا يقف عند هذا؛ بل يتعدّاه إذا علم الجميع أن هذا العمل الكبير: قد قام به الشيخ الشامي حفظه الله؛ بمفرده دون معين إلا من الله تعالى؛ حيث كان يعمل فيه ليلاً ونهاراً، دون ملالٍ ولا كلالٍ، وذلك في الوقت الذي قد قارب

عمر الشيخ: الثمانين عاماً، وهو مع هذا قد كلّت قواه، ورقّ عظمه؛ فأين نحن من أولئك وهؤلاء.

إنّهُ لعمل كبير، لا يعرفه إلا من عرف حقيقة جمع أحاديث السُّنة تحت أبواب متفرّقات، وتحرير زوائدها تحت مكرّرات... إنّهُ لعمل كبير، لا يدلّ إلا على صبرٍ وجلادٍ، وبحثٍ ونظرٍ، وسبرٍ وتفتيشٍ، في غير ذلك من الاعتِمَالِ في الصّناعة الحديثيّة، والتّرايب العلميّة في تراجم الأبواب والفصول؛ الأمر الذي يقطع بعلوّ كعب صاحبه، ورسوخ علمه، ولا نزكّي الشيخ على الله؛ بل الله حسيبه ومولاه!

* * *

ومن نواقض الأقوال بعد ذكرها، ومن تراجع الأفكار بعد رسوخها، ما كنت أقوله مراراً في مجالسي العلميّة: لقد انتهى علم الزوائد عند أبي الحسن الهيثمي رحمته الله، المتوفّى سنة (٨٠٧هـ)، وإنّ راجعت نفسي وراغمتها، قلت: كلّ من جاء بعده فهم عيال عليه.. نعم؛ كنت أقولها مدوّية في مجالسي حتّى شاء الله تعالى أن أوقفني على معلّمة لا نظير لها في علم الزوائد متمثّلة في كتاب: «جامع الأصول التسعة» للشيخ صالح الشامي، فعندها تيقّنت مجدّداً: بأنّ الأُمَّة ولادة، والخير باقٍ.

نعم؛ كم قلت أنا وغيري: ليت فلاناً اعتنى في جمعه

بتحرير فنّ الزوائد، وفلاناً ليته اعتنى بالصّناعة الحديثيّة، وفلاناً ليته أحسن في فقه أبوابه... وهكذا في تمنّيات لا يجمعها كتابٌ بين دفتيه؛ حتى إذا وقف المحدث الأريب، والفقيه اللّيب على «جامع الأصول التسعة» للشامي، استذكر المثل السائر: كلُّ الصّيد في جوف الفرا.



كما أنّني هنا؛ لست شاعراً غاوٍ، ولا ناثراً هاوٍ؛ بل أجدني طالب علم، قد خاض كثيراً من أمّات كتب الحديث والآثار ما يحملني على شيء من الحكم والاحتكام؛ لذا؛ كان من الواجب أن أقول: للمحسن أحسنت، لا سيّما والزّمان بخيلٌ بمثله، والعلم قد سكن في غير محله عند كثير من أبناء زماننا.

كلّ ذلك: تَظَلُّماً وتألُماً لما تركته آثار أكثر أقلام كثير من أهل زماننا، مع ما تقذفه بعض الأطروحات الجامعيّة من اجترارٍ وتكرارٍ، فكانوا ما بين محترفٍ للقصّ واللّصق، أو مجترئٍ على البتر والنّقص، أو متشبّع بالتطوال والملال، وهكذا حتى نبت بيننا معلّمةٌ مُتَعَالِمةٌ بزبدٍ من المغالطات، والتّفقّهات الشاذّة، ويكأنّ القومَ ملأكَ التّعصب باسم تقديم الدّليل، أو أخذان الظّاهرية باسم تعظيم الأثر والتّعليل، زعموا! أو غير ذلك ممّا يعرفه أهل الفنّ عند تعاملهم مع فنون العلم عند تحقيق مسائله، وتدقيق مباحثه، وتحرير

ترجيحاته، ممّا يعرفه أهل العلم الرّبّانيين؛ لأنّ كثيراً من كتب المتأخّرين لا تزيد المسألة إلّا خلافاً واختلافاً، فغالب أصحابها مغرم بالتّفريعات والتّشقيقات والتّخريجات والافتراضات؛ ممّا قد يطول البحث والسّعي في غير عائد، والله أعلم.

ومن وراءهم طلاب تعالم ليس عندهم إلّا همزات جهلاء؛ بأنواع من دعاوي التّبيط والتّهوين، مع ما عندهم من إملاءات ونصائح يحسبها الظّمان ماء، وما هي إلّا سراب بقيعة قد ألّبسوها؛ ثياباً من زخرف القول، وضعف العزيمة، وقلة العلم.

وهل كان تصنيف: «جامع الأصول» لابن الأثير؛ لأهل زمانه؟، وهل كتاب: «مجمع الزوائد» للهيتمي؛ لطلاب أوانه؟ وهل كتاب: «المطالب العلية»، وكتاب «إتحاف المهرة» لابن حجر، وكذا كتاب «تحفة الأشراف» للمزي، هل كان كلّه حبيس أقرانه؟ كلّاً فمثل هذه الكتب وغيرها من المشاريع الحديثيّة العلميّة الكبيرة: لم تزل للأمة وديعةً وأمانةً؛ في حين ما زالت الأمّة تحوطها بالحفظ والصّون والدّعاء... وستبقى معلمةً حديثيّة، في غيرها من كتب الحديث المطوّلة؛ وقيمة كلّ امرئ ما يحسن (لا ما يريد!)، وما كان لله بقي!

وأخيراً؛ أسأل الله تعالى أن يكتب لي وللشيخ

الشامي: الإخلاص في القول والعمل، وأن يوفقنا لما
يحبه ويرضاه، وأن يرزقنا الخاتمة الحسنة والحمد لله
رب العالمين، والصلاة والسلام على عبده ورسوله
الأمين.

كتبه

ذياب بن سعد آل حمدان الغامدي

حُرِّر في صباح يوم الجمعة

الموافق (١٤٣٦/٣/٢٥هـ)

الطائف المأنوس

أقول:

جزى الله الدكتور الغامدي خيراً على هذه الإجابة
الكريمة:

(١) فقد بيّن فيها بعض مزايا الكتاب، كما أشار إلى
مقدار الجهد المبذول في إعداده، فجزاه الله خيراً وأحسن
إليه.

(٢) وأما ما جاء ضمن المقال من ثناء على الشيخ الشامي،
فأرجو الله أن يجازيه خيراً على حسن ظنه بأخيه.

وأما بالنسبة لي فقد تعلمت من والذي رحمه الله تعالى
أن أضع نفسي في المكان الذي أعرفه منها، لا بالمكان الذي
يقال عنها.

وأنا أعرف من نفسي أنني طالب علم، ليس أكثر، وأرجو
الله أن يعفو عني ويسترنني بستره الجميل.
وقد تحدثت في مقدمة هذه الرسالة عن جهلي الذي
دفعني إلى العمل الجاد، لإزالة بعض ما أنا فيه، أو التخفيف
منه.

* * *



الفصل الثاني

المصادر الخمسة المكملة للأصول التسعة

في هذا الفصل أتحدث عن ثلاثة كتب - جمعت
زوائد خمسة من كتب السنة - تم إنجازها، وهي جزء
من مشروع تقريب السنة.

ويمكن لكل باحث أن يضم ما فيها إلى
الأصول التسعة، عند إعداده لبحث ما، إذ جميعها
جاءت وفق ترتيب واحد.

وهذه الكتب الخمسة هي أهم مصادر السنة بعد
الكتب التسعة.



زوائد السنن الكبرى للبيهقي على الكتب الستة

كنت في صلاة العصر في المسجد الذي أسكن بجانبه، وبعد انتهاء الصلاة تقدّم إليّ شاب فسلم بأدب جمٍّ.. وسرنا إلى البيت معاً - وكان مما تحدّث به أنه كان في زيارة لفضيلة الدكتور عبد الكريم خضير - وهو من علماء الحديث الذين لهم دروس عامة بذلك - وكان مما جرى الحديث بينهم، أن الدكتور عبد الكريم قال: لو أن كتاب البيهقي أُستخرجت زوائده على الكتب الستة لكان في ذلك خير كثير.

وقال الزائر: إني أعرف أنك اشتغلت «بالزوائد» فأحببتُ أن أنقل لك قول الدكتور عبد الكريم، لعلك تقوم بهذا العمل.

ووعده خيراً، وقلت: إني في عمل فإذا انتهيتُ منه لعلني أفكر في الموضوع، وكان هذا الزائر هو الدكتور يوسف الحوشان.

وفكرتُ بعد ذهابه أن أعرض فكرة القيام بهذا العمل على أحد الإخوة من طلاب العلم، وتم ذلك، ورحب الأخ بالفكرة.. وعندها أعطيته فكرة عامة عن طريقة العمل، وذهب عازماً على المباشرة بالعمل..

وكنّت أتابع الأخ بالاتصال به بالهاتف.. وكان يطمئنني أنه عامل به.. وفي اتصال به بعد شهرين، فاجأني بقوله: بأنه ترك العمل.. لأن هذا العمل يحتاج إلى الجلوس الطويل أمام الطاولة، وأنه في هذه المدة لم ينتج إلا القليل.. واعتذر عن متابعة العمل. ومزّت الأيام.. وانتهى العمل الذي كان بين يديّ وعزمتُ على تحقيق رغبة الدكتور عبد الكريم.

وكتاب «السنن الكبرى للبيهقي» كتاب كبير، قريب في حجمه من مسند الإمام أحمد، فهو يقع في عشرة مجلدات كبار حسب الطبعة الهندية، وكذلك في طبعة دار الكتب العلمية في بيروت، وأضافت هذه الطبعة مجلداً للفهارس، وبلغ عدد الأحاديث فيها (٢١٨١٢).

وكان لا بدّ من تصفّح عام للكتاب للتعرف على ما فيه، وعلى طريقة عرضه للموضوعات، ومعرفة البحوث التي تناولها، وذلك لإعداد خطة العمل.. وتم ذلك بحمد الله.

هذا ومن المستحسن أن أذكر وصفاً مختصراً للكتاب، وذكر ما قيل فيه:

قال الإمام السبكي: أما «السنن الكبير» للحافظ البيهقي، فما صنف في علم الحديث مثله تهذيباً وترتيباً وجودة.

وقال الإمام السخاوي: كتاب «السنن للحافظ البيهقي» استوعب أكثر أحاديث الأحكام، لا نعلم - كما قال ابن الصلاح - في بابيه مثله.

تلك بعض أقوال العلماء التي تبين مكانة الكتاب.

والكتاب وإن كان يحمل عنوان: «السنن الكبرى» فهو - في الحقيقة - ليس كتاباً من كتب السُّنَّة بالمعنى التقليدي، فهو لا يشبه كتاب «سنن أبي داود»، أو «جامع الترمذي»، أو غيرهما من كتب السنن.

وإنما هو كتاب امتزج فيه «الفقه» بـ «الحديث» فهو كتاب في «أدله الأحكام» فمعظم الأحاديث تساق للاستدلال على حكم فقهي.

وكان لفقه الإمام الشافعي النصيب الأوفى من تلك المناقشات والاستدلال للأحكام التي أخذ بها.

والمؤلف رحمته الله له في كثير من الأحيان الوقفات الطويلة لمناقشة الأسانيد أو رجال الإسناد، أو رجلاً في سند ما.

وهو يسوق الأحاديث بأسانيدها، وقد يكون السند قبل النص كما هو المعتاد في كتب الحديث، وقد يأتي به بعد النص..

وقد يكون للنص أكثر من سند، فيأتي به بين إسنادين أحدهما قبله والآخر بعده...

وقد بلغت أحاديث «الصحيحين» التي خرَّجها في كتابه (٧٧٩٧) كما ذكر ذلك الدكتور نجم خلف.

والمؤلف عندما يذكر حديثاً في «الصحيحين» أو أحدهما، يشير إلى ذلك بعد الحديث أو قبله في بعض الأحيان، ولا يفعل ذلك بالنسبة إلى بقية الكتب إلا نادراً.

وهو لا ييخل علينا في الحكم على «النَّص» غالباً..
 فيقول هذا سند صحيح، وهذا الحديث مرسل، وهذا مقطوع،
 وهذا موقوف.. وهذا لا يصح، وهذا تالف بالمرة وهكذا.

ويبيِّن لنا الإمام البيهقي طريقته في اختبار الأحاديث
 واعتماده على الصحيح دون الضعيف فيقول:

«وعادتي في كتبي المصنَّفة في الأصول والفروع
 الاختصار من الأخبار على ما يصح منها دون ما لا يصح، أو
 التمييز بين ما يصح منها وما لا يصح»^(١).

ولم يقتصر الكتاب على أحاديث الأحكام كما هو الشأن
 في كتب السنن، بل حاول المؤلف أن يجعله من الكتب
 «الجوامع» التي تذكر كل أنواع الأحاديث، كما هو الشأن في
 جامع الإمام البخاري.

ولذا فقد أدخل كثيراً من الأحاديث في غير أبوابها لأدنى
 مناسبة ومن أمثلة ذلك:

أنه وضع كثيراً من أحاديث خصائص الرسول ﷺ
 وشماله في أول كتاب النِّكاح، وذلك أنه ﷺ كانت له بعض
 الخصائص بشأن النِّكاح.

- وفي أبواب الحضانة أدخل أحاديث البرِّ والصَّلة.
- وفي كتاب أدب القاضي أدخل أحاديث الأمر بالمعروف
 والنهي عن المنكر.

(١) كتاب «دلائل النبوة» ٤٧/١.

- وفي كتاب الشهادات أدخل أحاديث مكارم الأخلاق.
- وفي كتاب الحدود جاءت أحاديث الاستئذان...
- ومع ذلك لم يستطع أن يجعل بفعله هذا من كتابه كتاباً جامعاً على الرغم من سعة الكتاب وكثرة أجزائه.
- فأحاديث الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار قليلة جداً بحيث تُعدُّ على الأصابع.
- وأحاديث العقيدة والإيمان وذكر الجنة والنار واليوم الآخر لا وجود لها تقريباً.
- وأحاديث الرقائق والآداب والفضائل قليلة جداً.
- وهو معذور في عدم ذكرها، إذ ليست هي مما يدخل تحت عنوان الكتاب.
- والكتاب بشكل عام - وكما وصفه العلماء - مرجع في أحاديث أدلة الأحكام.

* * *

بعد هذا الوصف:

أقول: قد تمَّ مراعاة بعض الأمور:

- (١) ذكر المؤلف رأيه في كثير من النصوص تصحيحاً وتضعيفاً، فذكرت ذلك عقب الحديث أو الأثر.
- (٢) في بعض الأحيان يشرح المصنف كلمة غامضة، أو معنى غير واضح، وفي هذه الحال أضع ذلك في نهاية الحديث.

(٣) وضع الشيخ علاء الدين، عز الدين المارديني الحنفي، المعروف بابن التركماني حاشية على السنن سمّاها «الجوهر النقي في الرد على البيهقي» وقد نقلت ما رأيته منها مفيداً، ووضعت في نهاية النص المعلق عليه.

(٤) اختصر الإمام الذهبي الكتاب وسمّاه «المهذب في اختصار السنن الكبرى للبيهقي» وقال في مقدمته: «وقد تكلمت على كثير من الأسانيد بحسب اجتهادي» وقد نقلت حكمه على الأحاديث التي تكلم عليها وجعلت ذلك بعد الحديث المتكلم عليه.

هذه خلاصة عملي في هذا الكتاب وقد بلغ عدد أحاديثه (٧٦٧٧) وصدر في ثلاثة مجلدات.

وهذا الكتاب في الزوائد على الكتب الستة، فهو - ومن باب أولى - أن يكون من الزوائد على الكتب التسعة. فهو بهذا يعدّ مكماً للكتب التسعة.



وأما طريقة استخراج زوائد هذا الكتاب، فهي شبيهة بما سبق الحديث عنه في استخراج زوائد المسند.

وقد طبعه المكتب الإسلامي في ثلاثة مجلدات طبعة أنيقة، تتناسب مع الجهد المبذول في إعداده، جزى الله القائمين عليه خير الجزاء.



زوائد ابن خزيمة وابن حبان والمستدرك على الكتب التسعة

بعد انتهائي من إعداد كتاب «زوائد السنن الكبرى» للبيهقي، رأيتُ أن أبدأ العمل في القسم الثاني من مشروع تقريب السُّنَّة، الذي سبق ذكره.

ووقع اختياري على هذه الكتب الثلاثة، لأن العلماء قدّموها على غيرها.

وجمعتُ بينها في كتاب واحد، لأن العلماء عندما تحدثوا عن هذه الكتب جمعوا بينها. والذي يربط بعضها ببعض، أن مؤلفيها التزموا جمع الصحيح، ولهذا جاء الحديث عنها كمجموعة واحدة ذات منهج واحد.

قال العلامة الكتاني في «الرسالة المستطرفة»: «ومنها كتب التزم أهلها فيها الصحة - من غير ما تقدّم من الموطأ والصحيحين، منها: صحيح ابن خزيمة، وصحيح أبي حاتم (ابن حبان) وصحيح أبي عبد الله (الحاكم) النيسابوري».

وقال العلامة أحمد شاكر: «صحيح ابن خزيمة، والمسند الصحيح لابن حبان، والمستدرك على الصحيحين للحاكم، هذه الكتب الثلاثة هي أهم الكتب التي أُلِّفَت في الصحيح المجرد، بعد الصحيحين للبخاري ومسلم».

وكانت طريقة استخراج زوائد هذه الكتب شبيهة بما سبق ذكره.

وقد بدأت بكتاب «ابن خزيمة» حديثاً حديثاً أقارنها على الكتب الثلاثة «الجامع بين الصحيحين» و«زوائد السنن» و«زوائد الموطأ والمسند» فما كان زائداً سجلته في بطاقة ووضعته في ملفه، وكذلك إذا كان هناك زيادة في حديث على ما في الكتب التسعة فإنها تسجل في بطاقة لتسجل في مكانها. وكذلك جرى العمل في «صحيح ابن حبان»...

ثم في المستدرک.

وهكذا تجمعت زوائد هذه الكتب الثلاثة في الملفات. كل فصل على حدة..

وبعد ذلك قسمت هذه البطاقات حسب الأبواب.

ثم جرت المقارنة بين أحاديث الباب الواحد، فقد يكون الحديث الواحد مذكوراً في الكتب الثلاثة - ابن خزيمة، وابن حبان، والمستدرک - وعندها يذكر مرة واحدة ويشار إلى أنه موجود في الكتب الثلاثة.

وإذا كان هناك زيادة في كتاب منها ذكرتها ونسبتها إلى مرجعها وكذلك إذا كان الحديث في كتابين.

ويحسن بي أن أسجل بعض المعطيات التي وجدتها أثناء عملي.

أما صحيح ابن خزيمة، فمعظم أحاديثه مخرّجة في الصحيحين، والبقية مخرّجة في كتب السنن، والأحاديث الزائدة على الكتب التسعة قليلة بلغت (٢٩٦) ومجموع أحاديثه (٣٠٧٩) حديثاً.

وقد علّق محققه الدكتور الأعظمي على الأحاديث صحة وضعفاً، وقد ذكرت هذه التعليقات في الحاشية.



وأما صحيح ابن حبان، فمعظم أحاديثه مخرّجة في السنن، وبعضها في الصحيحين، وبلغت أحاديثه الزائدة على الكتب التسعة (٥٣١) ومجموع أحاديثه (٧٤٩١).

وقد علّق ابن حبان على الأحاديث، وذكرت تعليقه عقب كل حديث علّق عليه، كما علّق محقق الكتاب فضيلة الشيخ شعيب الأرناؤوط على الأحاديث، وذكرت تعليقه في الحاشية بشكلٍ مختصر، وبعض تعليقاته أخذتها من تعليقاته على «كتاب موارد الظمان».

ومن المفيد هنا أن أذكر: أن «الهيثمي» استخرج زوائد كتاب «ابن حبان» على الصحيحين وجمعها في كتاب أسماه «موارد الظمان» وقد حقق هذا الكتاب الشيخ شعيب الأرناؤوط.

وقد اعتمدتُ عليه في بدء العمل - توفيراً للوقت - وتمّ العمل كاملاً، ولكنه تبين لي أن الهيثمي لم يلتزم بشرطه، فقد أخرج كثيراً من الأحاديث التي في الصحيحين أو

أحدهما، وقد بلغ عدد هذه الأحاديث في الجزء الأول (٥٤) حديثاً، وفي الجزء الثاني (٦٣) حديثاً، كما أنه لم يذكر أحاديث كان ينبغي أن يذكرها، ولذا عدتُ إلى الأصل وبدأتُ العمل من جديد.



وأما كتاب «المستدرک» فهو كتاب كبير بلغت أحاديثه قرابة تسعة آلاف، ادعى مؤلفه أنه استدرک على الإمامين «البخاري» و«مسلم» أحاديث على شرطهما أو شرط أحدهما.

وعندما نظر الحفاظ في الكتاب لم يجدوا صحة لبعض هذه الدعوى.

قال الإمام الذهبي: «في المستدرک جملة وافرة على شرطهما، وجملة وافرة على شرط أحدهما، لكن مجموع ذلك نصف الكتاب، وفيه نحو الربع مما صح سنده، وفيه بعض الشيء، معلل، وما بقي وهو الربع مناكير وواهيات لا تصح، وفي ذلك بعض موضوعات».

أقول: ويمتاز هذا الكتاب عن عامة كتب الحديث بأمرين:

الأول: الإطالة في كتاب «التفسير»، بينما اقتصرت كتب الحديث على ذكر بعض الآيات التي لها أسباب نزول أو مناسبة ما، وقد بلغ عدد هذه الأحاديث (١١٢٠).

الثاني: الإطالة في كتاب «معرفة الصحابة» الذي يشكّل ثلث الكتاب من حيث الحجم، وعدد أحاديثه (٢٦٠٠) حديثاً، حتى غدا وكأنه كتاب في تراجم الصحابة، بينما اقتصرت الكتب الأخرى على ذكر المناقب، وقد ذكر فيه طائفة من الأحاديث باعتبارها من رواية الصحابي المترجم له، فأرجعت هذه الأحاديث إلى أبوابها.

وقد قام الإمام الذهبي بتلخيص «المستدرک» وتكلّم على بعض الأحاديث وبين حكمها صحة وضعفاً، كما سكت عن بعضها وحذف بعضها لضعفه.

هذا وقد اضطرني العمل في هذا الكتاب أن أرجع إلى ثلاث طبعات له، لضبط النص:

- ١ - الطبعة الهندية التي صدرت عام ١٣٣٥هـ وفي ذيلها كتاب «التلخيص للذهبي».
- ٢ - طبعة دار المعرفة بعناية الأستاذ عبد السلام علوش.
- ٣ - طبعة دار الكتب العلمية بتحقيق الأستاذ مصطفى عبد القادر عطا.

ومع ذلك فإنني وجدت عبارات وجمالاً لا تنضبط مع السياق اللغوي الصحيح، ووجدتها في النسختين المتأخرتين كما وردت في الطبعة الهندية، فأثرت بقاءها كما هي، فلا يظن القارئ أنها من الأخطاء المطبعية، ومع ذلك فقد علّقت على كثير منها.

وقد حرصتُ على الاستفادة من جهود الإمام الذهبي، فوضعتُ تعليقاته في الحاشية، أما ما حذفه أو سكت عنه، فإنني لا أضع حاشية له.

وقد كثرت زوائد المستدرک على الكتب التسعة، والسبب الرئيس هو كتاب «معرفة الصحابة» فكله من الزوائد، وكذا معظم كتاب «التفسير» وكذلك الربع الذي قال عنه الذهبي إنه من المناكير.. ولذلك بلغت الأحاديث الزائدة فيه ما يزيد على (٣٥٠٠).



إنه جهدٌ كبيرٌ بذل في إنتاج هذا الكتاب، ومعظمه كان في معالجة المستدرک، وأحمد الله تعالى أن يسر استكمالَه ويكفي ما فيه من توفير العناء في الرجوع إلى المستدرک، فما كان مشتركاً منه مع الكتب التسعة فقد حذف، وما بقي بعد ذلك فقد رُتب في أبوابه وذكرت التعليقات حول أحاديثه.

وأما ابن خزيمة وابن حبان، فلا إشكال حولهما، وقد سبق الحديث عنهما.



زوائد «الأحاديث المختارة» للمقدسي على الكتب التسعة

«الأحاديث المختارة» جمعها العلامة ضياء الدين المقدسي (ت ٦٢٣هـ) مما ليس في الصحيحين وهو مرتب على المسانيد على حروف المعجم، ولم يكمله، والتزم فيه الصحة.

وقد قام بتحقيق الكتاب - أو ما وجد من مخطوطاته - فضيلة الدكتور عبد الملك بن دهيش جزاه الله خيراً.

ويقع الكتاب في (١٣) مجلداً، وخرجت طبعته الخامسة في (٧) مجلدات ويقدر المحقق أن عدد الأحاديث التي جمعها الضياء هو (٨٠٠٠) حديثاً، وقد بلغ عدد الأحاديث التي أخرجها (٥٥٢٠)، وهو ما استطاع الحصول على مخطوطاته.

وقد قام المحقق بدراسة الأسانيد وحكم عليها، وقد ذكرت ذلك في الحاشية.

وأما الطريقة التي تمّ فيها استخراج زوائد الكتاب على الكتب التسعة فهي الطريقة التي سبق الحديث عنها عند الكلام على مسند الإمام أحمد.

وكانت خلاصة العمل في مجلد واحد، اشتمل على (١١٣٨) حديثاً، مرتبة على الطريقة التي انتهجتها في هذه السلسلة.



وقد أهديتُ نسخة من الكتاب إلى فضيلة المحقق، حملها إليه إلى مكة المكرمة الأخ الكريم الأستاذ عبد الله العوبل. ثم زاره بعد ذلك مرة أخرى قبل وفاته، فذكر له الشيخ أنه قرأ الكتاب وذكر لي الأخ عبد الله: أن الشيخ أثنى على الكتاب وقال: إنه عمل مميز.. وأنه في نيته شراء خمسين نسخة لتوزيعها على إخوانه وتلاميذه..

رحم الله المؤلف والمحقق رحمة واسعة.



خلاصة الكتب المكملة للتسعة

- ١ - صحيح ابن خزيمة.
- ٢ - صحيح ابن حبان.
- ٣ - المستدرک للحاکم.
- ٤ - السنن الكبرى للبيهقي.
- ٥ - الأحاديث المختارة للمقدسي.

وتُعدُّ هذه الكتب الخمسة أشهر وأهم كتب السُّنة بعد الكتب التسعة، وما بعدها ليس في مستواها، ويغلب على أكثرها ذكر الآثار.

وإذا جمعت هذه الكتب الخمسة إلى التسعة صار المجموع (١٤) كتاباً، وهي أصول كتب السُّنة، وأعتقد أن الأحاديث التي جمعت فيها تغني عن غيرها، فما جاء من الأحاديث فيما سواها من الكتب إما أن يكون مذكوراً فيها، أو يكون فيها ما يقوم مقامه.

إن ما جاء في هذه الكتب الـ (١٤) مقارب لجمع السُّنة، وهي وافية بمقصد كل باحث وقد أصبحت في أربعة كتب:

- ١ - جامع الأصول التسعة.
- ٢ - زوائد ابن خزيمة وابن حبان والمستدرک على الكتب التسعة.

٣ - زوائد الأحاديث المختارة على الكتب التسعة.

٤ - زوائد السنن الكبرى للبيهقي على الكتب الستة.

فما على الباحث إلا أن يفتح هذه الكتب على الموضوع المطلوب ليجد حاجته، فهي جميعاً ذات ترتيب واحد من حيث المقاصد والكتب والفصول بل والأبواب. وأعتقد أنني بهذا وصلتُ إلى مكان متقدم في جمع السُّنَّة.

ولعلَّ الله ييسر لبقية الكتب من يستخرج زوائدها على الكتب التسعة أو على الأربعة عشرة، ويتمُّ المشروع.





الفصل الثالث

الكتب المفردة

هذه هي المجموعة الثالثة من كتب تقريب
السُّنة.

وهي كتب انفرد كل منها بموضوعه، وغاية
عملي فيها هو تقريبها إلى يد القارئ الكريم، بعد
ضبطها وتجميل عرضها.



تحقيق كتاب «الجمع بين الصحيحين» للموصلي

سبق القول عند حديثي عن «الجامع بين الصحيحين» أنني قبل العزم على قيامي بالعمل، فتشت عن مخطوطة لتحقيقها.. وأثناء استطلاعي للمخطوطات وقفت على واحدة منها، تحمل العنوان التالي: الجمع بين الصحيحين مع حذف المسند والمكرر من البين.

وهي للعلامة: أبي حفص عمر بن بدر الموصلي (٥٥٧ - ٦٢٢).

وقد أعجبتني طريقة الكتاب، وقلت إنه يؤدي الغرض كمختصر للصحيحين، وعزمتُ على العمل على تحقيقه بعد انتهائي من عملي الذي عزمْتُ عليه.

وعدتُ إلى الكتاب للقيام بتحقيقه، ويحسن بنا أن نتعرف على الدوافع التي بعثت مؤلفه على هذا العمل.

رأى المصنف إعراض الناس عن علم الحديث في زمانه، ورأى أن سبب ذلك يعود إلى أربعة أشياء:
أحدها: أنه حق محض.

الثاني: كثرته.

الثالث: أنه يحتاج إلى الأسفار.

الرابع: أنه يسأم من طول الأسانيد والمكرر من المتن. ولمعالجة هذا الإعراض، جمع كتابه هذا متبعاً الطريقة التي بيّنها بقوله:

«فجمعتُ كتابي هذا، وحذفتُ منه الأسانيد، والمكرر من المتن، إلا ما كان يحتمل إدخاله في أبواب متعددة، فإنّنا نضطر إلى إعادته لئلا يخلو منه الباب».

وطلباً للاختصار - أيضاً - وعدم الإطالة، حذف بعض الأحاديث الطويلة، مما لا يدخل فيه لفظ نبوي، كما حذف الترضي عن الصحابة ﷺ مساهمة في الاختصار.

وقد رتب موضوعاته على حروف المعجم، ليكون سهل المتناول على من أراد الانتفاع به، كما قال، وهي الطريقة التي اتبعها ابن الأثير في كتابه «جامع الأصول» فبحث الصلاة في حرف الصاد، والطهارة في حرف الطاء.. وهكذا.

تلك هي دوافع الجمع، وتلك هي طريقة الكتاب.

وفي عنوان الكتاب قوله «مع حذف السند والمكرر من البين».

وهنا يتبادر إلى الذهن أن المصنف حذف المكررات من روايات الحديث الواحد، واقتصر على رواية واحدة.

وقد فعل المصنف ذلك، ولكنه سار في هذا الاتجاه شوطاً أبعد، فهو يحذف المكررات من الأحاديث ذات الموضوع الواحد. فعندما يرد حديث في موضوع ما، عن عائشة رضي الله عنها، ويرد مثله عن ابن عمر رضي الله عنهما.. فإنه يكتفي بحديث واحد.

وإذا كان في الحديث الآخر - أو الأحاديث الأخرى - زيادة، ذكرها بقوله: وفي رواية.. دون أن يبين اختلاف الراوي..

ولهذه الأسباب قلت: إن الكتاب مختصر جيد للصحيحين يتيح لقارئه أخذ تصور عام عن الموضوعات التي وردت في الصحيحين.

وقد بذلتُ جهدي في إخراجه بأحسن ما أمكنني مما شرحت تفصيله في مقدمة الكتاب.

وقد صدر الكتاب عن «المكتب الإسلامي» في مجلدين وبلغ عدد أحاديثه (٢٨٧٩).



مشارك الأنوار على صحاح الآثار

كتاب (مشارك الأنوار على صحاح الآثار) للإمام الحافظ القاضي عياض (ت ٥٤٤هـ) وهذا الكتاب يُعدُّ في كتب «غريب الحديث» وإن كان الغريب هو بعض ما جاء فيه.

وموضوع الكتاب: هو تقويم الألفاظ المشككة والغريبة الواردة في الصحيحين والموطأ، وشرحها وضبطها، وضبط الأسماء والكنى والأنساب، وأسماء الأماكن والبلدان، والتنبيه على ما يقع في ذلك من وهم أو تصحيف أو لبس، مع مقارنة الروايات والتنبيه على الفروق بينها والتوجيه إلى الصواب.

هذا بعض ما جاء في الكتاب واستيعاب بيان ما جاء به الكتاب يحتاج إلى صفحات كثيرة.. لا مجال لبيانها..

إنه كتاب فريد في بابهِ. بذل فيه من الجهد ما يعجز عنه الوصف، ولا يعرف قدر الكتاب إلا من تعامل معه.

حتى قال ابن فرحون: «كتاب مشارق الأنوار.. وهو كتاب لو كُتِب بالذهب أو وزن بالجواهر لكان قليلاً في حقه».

وكرر هذه الكلمة العلامة الكتاني في «الرسالة المستطرفة».

تعرفتُ على الكتاب عند عملي في «الجامع بين الصحيحين» وعدتُ إليه لشرح بعض الألفاظ أو ضبط بعض الكلمات.

وكانت طبعات الكتاب التجارية متوفرة في الأسواق.

وكان الرجوع إلى هذا الكتاب أمراً فيه مشقة، لأنه معجم مرتب على الأحرف، ولكن ترتيب الأحرف فيه على غير ما عرفته المعاجم، فهو مرتب على أحرف تسلسلها على غير ما عرفناه، والذي يبدو أن هذا الترتيب كان قائماً في المغرب يومئذٍ، وهذا الترتيب هو كالتالي:

أ ب ت ج ح خ د ذ ر ز (ط ظ ك ل م ن ص ض ع غ
ف ق س ش) ه و ي

والملاحظ أن الأحرف التي بين القوسين، هي على غير ما تعارفناه.

والأمر لا يقف عند هذا الحد، بل يستمر عند مراجعة الكلمة في حرفها الأول والثاني، ثم الثاني والثالث.

إنه معجم ولكنه على ترتيب الأحرف التي ذكرتها، فعلى من أراد الرجوع إلى هذا الكتاب أن يضع هذه الأحرف أمامه ليستطيع الاستفادة منها عند الرجوع إلى الكلمة المطلوبة في حرفها الأول والثاني، ثم الثاني والثالث.

هذا الوضع جعلني أفكر في إعادة ترتيب الكتاب

ليتوافق مع الطريقة المعجمية المتعارف عليها في المشرق.

ولما عزمتُ على ذلك رأيت أن أحقق نصّه أيضاً.



وقد يسّر الله لي طبعة مغربية قديمة صدرت سنة ١٣٣٣هـ في جزأين في مجلد واحد من القطع الكبير.

وحصلتُ على صور لثلاث مخطوطات، إحداها لنصف الكتاب.

وبدأتُ العمل، ولم يكن الأمر سهلاً، ويسّر الله إنجازاه بعد صبر وأناة يتناسبان مع طبيعة العمل.

وكان أحد أصحاب دور النشر في مكة المكرمة يطلب مني أن أقدم له كتاباً لينشره، وكان ذلك بعد ظهور عدد من الكتب باسمي منها، من معين السيرة، وتحقيق المواهب اللدنية، والجامع بين الصحيحين، وزوائد السنن..

واتصلتُ بالرجل وأعلمته بالكتاب وموضوعه فرحب..

فحملتُ الكتاب وسافرتُ به إلى مكة المكرمة، وبعد أداء العمرة التقيتُ بالرجل وقدمتُ له الكتاب، وكتب عقداً في ذلك على أن يطبع الكتاب خلال سنة على ما أذكر، وطمع الكتاب وضح أكثر من مرة وانتهى تصحيحه..

وجعلتُ أنتظر صدوره، ومضى عام آخر وعام ثالث، وأنا مع وعود لا تنتهي ولا يتمُّ الإيفاء بها.

وفي يوم من الأيام اتصل بي رجل من بيروت، وقال إن الكتاب جاهز من زمن طويل وقد كلفه صاحبنا بإعداده، ولم يدفع له شيئاً من التكلفة، والرجل يطالبني بهذه التكلفة.. فحولتُ له تلك القيمة وطلبتُ منه أن يحتفظ بالكتاب عنده.

كان صاحب الدار في مكة يومئذٍ في ورطة مالية..

وجعلتُ أبحث عن دار نشر.. في قصة طويلة.. انتقل فيها الكتاب إلى أكثر من مكان.

ربما كان السبب في ذلك، أن الطبعة السائدة في السوق كانت في مجلدين بحرفٍ صغيرٍ وتُباع بسعرٍ زهيدٍ فهي طبعة تجارية بكل ما تعنيه الكلمة.

وأما كتابنا فقد جاء في ثلاثة مجلدات، كل منها يزيد على (٧٠٠) صفحة وهذا سيجعل سعره مرتفعاً..

ولا أريد الإطالة.. فقد قبلت دار القلم طباعته مشكورة وصدر عام ١٤٣٣هـ وكان قد سُلِّم لدار النشر الأولى سنة ١٤٢٠هـ.

الأدب المفرد للإمام البخاري

كتاب «الأدب المفرد» للإمام البخاري، كتاب جمع فيه الآداب الإسلامية، من كتابه «الصحيح» وأضاف إلى ذلك أحاديث أخرى.

بلغ عدد الأبواب في الكتاب (٦٤٤) حسب ترقيم الأستاذ فؤاد عبد الباقي، وقد لفت نظري عند قراءتي للكتاب:

١ - أن بعض الأبواب جاءت بشكل مجموعات يعالج كل منها موضوعاً واحداً، ومع ذلك تخلل هذه الأبواب، أبواب من موضوعات أخرى.

٢ - وجود بايين أو أكثر تحمل عنواناً واحداً، في أماكن متقاربة تارةً ومتباعدة تارةً أخرى.

٣ - وجود أبواب ذات موضوع واحد، جاءت في أماكن متباعدة.

٤ - وجود أبواب متباعدة جرت عادة المصنفين على وضعها متجاورة، كالغيبة والنميمة..

٥ - وجود أبواب وسط مجموعة ذات موضوع واحد، فقطعتها عن بعضها.

٦ - وجود أحاديث في بعض الأبواب، لا تمتّ إلى تراجمها بصلة.

ويظهر من ذلك أن الترتيب لم يكن من اهتمامات المؤلف.. ونتج عن ذلك أمران:

الأول: صعوبة الرجوع إلى موضوع ما، وذلك لأننا بحاجة إلى البحث عنه بين (٦٤٤) عنواناً، وقد جاءت فهرستها في مطبوعة دار الصديق في (٦٢) صفحة.

الثاني: فقدان التصور الكلي للنظام الأخلاقي في الإسلام من خلال العرض القائم. وإن مجرد النظر في فهرس الكتاب، يضع القارئ أمام هذه القضية.

ولتدارك ذلك رأيت أن أقوم بإعادة ترتيب الكتاب والسعي إلى:

١ - تقديم مادة الكتاب من خلال عرض منهجي موضوعي، مع المحافظة على تبويب المؤلف وعناوينه.

٢ - تقديم تصور كلي لنظام الأخلاق في الإسلام من خلال عرض جديد، يربط الجزئيات بالكليات، كما يربط الفروع بأصولها، وقد تمّ ذلك - بحمد الله - فأصبحت الأبواب الرئيسة في الكتاب عشرة، تنضوي تحتها مادة الكتاب.

٣ - ضبط النص، وقد تمّ ذلك على ثلاث نسخ معتمدة.

٤ - شرح الألفاظ والجمل، وبيان المشكلات.

٥ - تخريج الأحاديث والآثار وبيان الضعيف منها.

- ٦ - بيان الشاهد من الحديث، وربطه بترجمة الباب، حيث قد يخفى ذلك.
 - ٧ - المحافظة على ترقيم الأحاديث الوارد في طبعة الأستاذ فؤاد عبد الباقي، والتي اعتمدت في شرح الكتاب للشيخ فضل الله الجيلاني، ليسهل الرجوع إلى الشرح لمن أراد ذلك.
 - ٨ - وضع فهرس متعددة تساعد القارئ إلى الوصول لمطلوبه.
- وأرجو بهذا أن أكون قد قدّمت خدمة للكتاب تساعد على الوصول للغاية المرجوة منه.



الوافي بما في الصحيحين

بعد ظهور «الجامع بين الصحيحين» وانتشاره، زارني بعض حفظة القرآن الكريم وطلبوا أن أختصر لهم الكتاب حتى يسهل عليهم حفظه.

وبعد التفكير في طلبهم، رأيتُ أن الاختصار لا يصلح لأن الغاية منه تقليل حجم الكتاب وعندها لن يكون هناك ضابط لما يحذف.

فرأيت أن أحذف من الأحاديث ما لا يخل حذفه بالمعنى العام، بحيث تبقى المعاني والأحكام التي جاءت في الصحيحين، كما هي دون نقص.

وفي سبيل ذلك اتبعت الخطوات التالية:

١- إن كثيراً من الأحاديث نقلها عدد من الصحابة بنصّها دون تغيير أو اختلاف، وفي مثل هذه الحال يكتفى بذكر نصّ واحد.

٢- بعض الأحاديث تدور حول معنى واحد. وقد جاءت من رواية عدد من الصحابة، كأحاديث الإسراء والمعراج، وأحاديث الشفاعة، وكثير من أحاديث الأحكام.. وهذا النوع من الأحاديث كثير، وفي مثل

هذه الحال، يتمُّ اختيار النصِّ الأشمل، فإن لم يفِ بالحاجة أضيفت له فقرات من النصوص الأخرى.

٣ - وفي بعض الأحيان، قد يرد معنى الحديث الذي رواه الصحابي ضمن حديث أشمل رواه صحابي آخر، فيكتفي بالحديث الأشمل.

تلك هي الطريقة التي اتبعتها في إعداد هذا الكتاب، فلم يكن الاختصار مقصوداً لذاته، ولا يتمُّ حذف حديث إلا حينما يوجد معناه أو نصّه في حديث آخر.

ولهذا أطلقت عليه اسم «الوافي» لأنه وافٍ بكل المادة التي وردت في «الجامع» ولم اسمه مختصراً، وحرصت أن يكون مضمونه مطابقاً لاسمه.

وقد صدر عن «دار القلم» في مجلد واحد، وبلغ عدد أحاديثه (١٩٢٩).

وبحمد الله تعالى فقد لاقى هذا الكتاب قبولاً لدى حفاظ القرآن وغيرهم، ممن لا يتيح لهم وقتهم الجلوس مع المطولات..

وقد أُعيد طبعه للمرة الثالثة، مما يدلُّ على أنه لبَّى حاجة كثير من القراء.

مسند الإمام أحمد بن حنبل

مسند الإمام أحمد، هو موسوعة الحديث، إذ تبلغ أحاديثه قرابة (٢٨) ألفاً، وقد صدرت له طبعات كثيرة وأحسنها وأفضلها طبعة مؤسسة الرسالة.

وفي مساء أحد الأيام اتصل بي أخ كريم ليطلب مني أن أخرج مسند الإمام أحمد على الطريقة التي اتبعتها في كتبي من حذف الأسانيد والمكررات والترتيب على الأبواب التي اخترتها لكتبي.

ووعده خيراً..

وفكرتُ في كيفية إدارة العمل، وقد سبق لي أن أخرجت زوائد الموطأ والمسند على الكتب الستة.

وعدّت إلى هذا الكتاب - زوائد الموطأ والمسند - أنظر فيه، وإذا به - بحمد الله - قد احتوى على المسند بكامله مرتباً وفق المنهج الذي اخترته.

وذلك أني في طريقتي لجمع الزوائد، كنت أذكر جميع أحاديث الباب، فما كان مشتركاً مع الكتب الأخرى ذكرته بأرقامه، وما عدا ذلك فهو الزوائد، وكانت الغاية من ذلك

هي توثيق العمل ليطمئن القارئ أن الكتاب استوفى جميع الزوائد، وما كنت أقدر أنني بعملتي هذا أمهد السبيل لإخراج المسند.

ولإيضاح ذلك أذكر الباب الأول من زوائد الموطأ والمسند.

١ - باب أركان الإسلام والإيمان

وقد جاء تحت هذا العنوان (١٥) حديثاً انفرد بها الإمام أحمد، وهي الزوائد..

ثم جاء بعد ذلك ما يأتي:

[ج - ١] ابن عمر (٥٦٧٢) (٦٠١٥) (٦٣٠١)

[ج - ٢] أنس (١٢٤٥٧) (١٣٠١١)

[ز - ١] معاوية القشيري (٢٠٠٣٧) (٢٠٠٤٣)

[ز - ٢] معاذ بن جبل (٢٢٠١٦) (٢٢٠٢٢) ...

وهذا يعني أن باب (أركان الإسلام والإيمان) احتوى على (١٥) حديثاً مذكورة بنصها وهي الزوائد، وفي الباب أيضاً أربعة أحاديث مشتركة بين المسند وغيره. اثنان منها في الجامع بين الصحيحين الأول منهما رواه ابن عمر وبجانبه أرقامه في المسند، والثاني رواه أنس، وبجانبه أرقامه في المسند.

وحديثان آخران في «زوائد السنن على الصحيحين»
الأول رواه معاوية القشيري وبجانبه أرقامه في المسند،
والثاني رواه معاذ بن جبل، وبجانبه أرقامه في المسند.

هذه صورة الباب الأول في الكتاب وقد استوفى أحاديث
«أركان الإيمان والإسلام» وإذن فالعمل اللازم لتستقر هذه
الأحاديث في الباب الأول من الكتاب المراد إعداده، هو
حذف الأرقام، ووضع الأحاديث مكانها، هكذا:

١ - فحديث ابن عمر الذي رقمه في الجامع بين
الصحيحين (١) ويؤخذ نصّه من المسند من الأرقام
(٥٦٧٢) (٦٠١٥) (٦٣٠١) ويتم ذلك بعد مقارنتها بعضها
مع بعض واختيار النص المناسب.

٢ - ثم تذكر بقية الأحاديث الأربعة من خلال الأرقام التي
بجانبها.

٣ - ثم تذكر الأحاديث الـ(١٥) المذكورة بنصها.

وهكذا يستكمل الباب.. ويتابع العمل.

وعلى هذا نستطيع القول بأن العمل جاهز بعد وضع
الأحاديث مكان الأرقام التي دلت عليها هذه الأرقام..

إنه عمل سهل ولكنه يحتاج إلى وقت، وبخاصة في
المقارنة بين الأرقام للحديث الواحد الذي تكرر نصه
لاختيار النص المناسب، علماً بأن هذه الأرقام قد تبلغ
عشرين رقماً أو أكثر للحديث الواحد.

وبدأتُ العمل.. ورأيتُ أن هذه الطريقة تتيح لي أن أشير في بدء كل حديث إلى من خرج من أصحاب الكتب الستة والدارمي وذلك بوضع رمز هذه الكتب أمام الحديث.

وهذا استدعى أمراً آخر، وهو ترتيب الأحاديث ضمن كل باب، بحيث تكون الأحاديث المخرجة في الصحيحين أولاً يتبعها الأحاديث المخرجة في السنن، ثم الأحاديث التي انفرد بها الإمام أحمد.

وتمَّ العمل، وإذا بي أجدني وقد حققت أمنية الإمام الذهبي - التي لم تكن في ذهني والتي لم أسع لتحقيقها - حيث قال:

«فلعل الله يقيض لهذا الديوان العظيم - مسند الإمام أحمد - من يرتبه ويهذهبه، ويحذف ما كرر فيه، ويصلح ما تصحف، ويوضح حال كثير من رجاله، وينبه على مرسله، ويوهن ما ينبغي من مناكيره.

ويرمز على رؤوس الحديث بأسماء الكتب الستة.

وإن رتبته على الأبواب فحسن جميل.

ولولا أنني قد عجزتُ عن ذلك لضعف البصر، وعدم النية، وقرب الرحيل لعملتُ ذلك» اهـ.

هذا وقد وضعتُ في نهاية كل حديث الحكم عليه صحة وضعفاً، وذلك بالاستناد إلى عمل الشيخ شعيب وأصحابه

في طبعة مؤسسة الرسالة، ولم أفعل ذلك في الأحاديث
المخرجة في الصحيحين أو أحدهما.
وهناك أمور تكميلية أخرى تفيد الباحث ذكرتها في
مقدمة الكتاب.



وقد صدر الكتاب في (٦) جلدات، طبعته دار القلم
بدمشق وأخرجته بشكل أنيق ومظهر ممتاز من حيث الورق
والتجليد، كما هو شأنها في مطبوعاتها.

الأحاديث النبوية الكلية التي عليها مدار أحكام الإسلام

استوقفتني كلمة للإمام أحمد بن حنبل رحمته الله، جاء فيها:

«أصول الإسلام على ثلاثة أحاديث.

حديث عمر (إنما الأعمال بالنيات..).

وحديث عائشة: (من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد).

وحديث النعمان بن بشير: (الحلال بيّن والحرام بيّن) اهـ.

ومثل هذه المعلومة عندما تصدر عن الإمام أحمد، فإنها لا تُقدر بثمن لنفاستها، فهو المحدث وهو الفقيه.

وهذا ما دفعني لجميع الأحاديث التي قيل في حقها مثل ذلك، وقد بلغت عشرة أحاديث وتبيّن أنها جميعها من أحاديث الأربعين النووية.

فرتبت هذه الأحاديث العشرة وشرحتها شرحاً وافياً، يظهر من خلاله المعاني الكلية التي قصد إليها الإمام أحمد..

وبعد أن تمّ هذا العمل، وضعت بقية أحاديث «الأربعين النووية» في الباب الثاني من الكتاب، بعضها قمتُ بشرحه، ولم أشرح ما لا يحتاج لذلك.

إن الاهتمام بالأحاديث الكلية أمر مفيد، فهي كالدستور يضم رؤوس الأمور ويتحدث عنها.

وإذا وعى المسلم هذه الأحاديث الكلية وحفظها فإنها ستكون الميزان الذي يزن به الأعمال عندما يريد الإقدام عليها. وفي هذا من الخير ما فيه، حيث يكون على بصيرة فيما يقدم عليه، وما يحجم عنه.

* * *

تقريب مسند الإمام أحمد

بعد ظهور كتاب «مسند الإمام أحمد»..

اتصل بي أحد الإخوة من طلاب العلم قائلاً: إنه بعد خروج المسند أعتقد أنه يسهل عليك أن تخرجه مرة أخرى وفقاً للأصل بالمواصفات الجديدة التي خرج فيها، أي محذوف الأسانيد، محذوف المكرر، ولكنه مرتب على المسانيد كما وضعه مؤلفه محافظةً على الأصل..

وبعد مناقشة قلت: إن هذا العمل لو ظهر لن يُحتاج إليه، أو لن يقبل عليه إلا طائفة محدودة من طلاب العلم، وذلك لأن الترتيب حسب الأبواب أكثر فائدة لعامة طلاب العلم..

ولهذا لن تقبل الدار الناشرة أن تنشر الكتاب مرة أخرى وعندها الطبعة الأولى التي خرجت.

وخلاصة القول: إن هذا الأخ تعهد بطبع الكتاب طبعة خاصة توزع مجاناً على طلاب العلم..

وبعد هذا.. بدأتُ العمل وظننت أن الأمر سهل ميسر.. ولكن التوقع لم يطابق الواقع، فقد استمر العمل في هذا الموضوع بشكلٍ متواصلٍ مع الحرص على الوقت ثمانية

أشهر، وتمّ العمل ودفع إلى دار النشر «دار القلم» حيث قامت بصفّ الكتاب وتمّ تصحيحه ومراجعته وأصبح جاهزاً للطباعة في أربعة مجلدات..

أما كيف تمّ العمل والطريقة التي أتبعْتُ لتحويل الترتيب من الأبواب إلى المسانيد، فذلك حديث يطول..

انتهى العمل في هذا الكتاب منذ وقت.. ولكن الأخ لم يستطع الوفاء بالتزامه وإني بانتظار ذلك.



فوائد هذا التقريب:

- ويحسن بي أن أذكر بعض فوائد هذا العمل، ومنها:
- (١) المحافظة على الكتاب بالشكل الذي تركه مؤلفه عليه.
 - (٢) التعرف على النصوص من خلال الصحابي الراوي، حيث تكون كل الأحاديث التي رواها في مكان واحد.
 - (٣) التعرف على الصحابة المكثرين من الرواية.
 - (٤) وبما أنّ العناوين في هذا الكتاب هي «أسماء الصحابة» فإن هذا الأمر سيتيح للقارئ التعرف على الصحابة المقلّين من الرواية، الذين لم يرو الواحد منهم إلا الحديث أو الحديثين، وهذه المعرفة لا تحصل في الطبعة التي صدرت حسب الأبواب، إلا لمن قصدها.

تحسينات أدخلت على الكتاب:

هذه الطبعة وإن كان غايتها المحافظة على شكل الكتاب كما تركه مؤلفه.

ومع ذلك، فلم يكن هذا الهدف ليمنع ادخال بعض التحسينات ومنها:

(١) أدرج المصنف عدداً من أحاديث المكثرين في غير مسانيدهم وقد تمّ إلحاق هذه الأحاديث برواتها.

(٢) جاءت أحاديث بعض الصحابة في أكثر من موضع من المسند، وقد تمّ جمع هذه الأحاديث في مكان واحد.

(٣) تداخلت بعض أحاديث الرجال بأحاديث النساء، وقد تمّ إرجاع كل حديث إلى راويه، رجلاً كان أو امرأة.

(٤) كثرت في الكتاب عناوين لأحاديث مفردة، مثل «حديث رجل من أصحاب النبي ﷺ» و«حديث رجل» و«حديث أعرابي» وما أشبه ذلك.

فرأيت أن يكون لهذه الأحاديث قسم خاص يكون عنوانه: «أحاديث من لم يسم من الصحابة».

كما تكرر عنوان: «حديث رجل من الأنصار» فجمعت هذه الأحاديث تحت عنوان: «حديث رجال من الأنصار» ووضعت في آخر «مسند الأنصار».

وتكرر أيضاً عنوان «حديث امرأة» وقد تمّ جمع هذه

الأحاديث تحت عنوان «حديث من لم يسمَّ من النساء»
ووضعتها في آخر «مسند النساء».

٥) جاءت أحاديث بعض النساء خارج «مسند النساء»
منتشرة ضمن بقية المسانيد، وقد تمَّ إلحاقها «بمسند النساء».
وهناك تحسينات أخرى لا مجال للإطالة بذكرها.
وأهمها خط بياني يبين ترتيب أحاديث المكثرين من
الصحابة.

* * *



معالم السُّنة النبويّة

كانت الأعمال التي سبق الحديث عنها في جملتها لخدمة طلاب العلم خاصة إذا استثنينا منها: «الجامع بين الصحيحين» و«الوافي» و«الأحاديث الكلية».

وليس هناك كتاب مستوفٍ؛ يضع المنهج النبوي بين أيدي عامة الناس غير طلاب العلم.. من العمال والتجار والأطباء والمهندسين.. ممن يريد التعرف على السُّنة النبويّة.

وأعتقد أن الإمام النووي شعر بالحاجة إلى مثل هذا الكتاب، فأراد أن يسد الفراغ، فصنف كتابه الشهير «رياض الصالحين» الذي كتب الله له القبول، وانتشر انتشاراً واسعاً.

ولكن كتاب «رياض الصالحين» اقتصر على ذكر فضائل الأعمال، والرفائق والآداب وقليل جداً من الأحكام التي جاءت عرضاً.

إن الهدف الذي أقصد إليه هو إيجاد كتاب يكون مرجعاً لكل مسلم - أياً كانت ثقافته - يرجع إليه للوقوف على الأحاديث النبويّة التي توضح له ما يهمه في كل شؤونه الدنيوية والدينية.

وبتعبير آخر، إيجاد كتاب يحوي مجمل السُّنة، بحيث يلمّ قارئه بأقوال النبي ﷺ وأفعاله في كل شأن دونته كتب السُّنة.

* * *

وفي سبيل الوصول إلى هذا الكتاب رأيت أن يكون مرجعي في ذلك الكتب التي سبق أن عملت عليها وهي (١٤) كتاباً.

- ١ - الكتب التسعة وقد أصبحت في كتاب واحد.
- ٢ - وابن خزيمة وابن حبان والمستدرک، وقد أصبحت هذه الثلاثة في كتاب واحد.
- ٣ - زوائد السنن الكبرى للبيهقي.
- ٤ - زوائد الأحاديث المختارة.

إنها أربعة كتب تحتوي على أربعة عشر كتاباً.
فرايت أن أقوم بمسح شامل لأحاديث هذه الكتب الأربعة، وهي مرتبة على نسق واحد، فأنتقي من كل باب ما يؤدي الغرض.

* * *

وكان لا بد من خطة يقوم الانتقاء على أساسها؛ لأن وضوح الغاية، وتحديد القصد، يساعدان على الاختيار، كما يساعدان على اختصار الزمن والإفادة من الوقت.

أولاً: قمت بإحصاء الأحاديث التي في هذا الكتاب، والتي أخذت من «الصحيحين» أو أحدهما، فبلغت (٢١٣١) وهذه إذا نسبت إلى مجموع أحاديث الكتاب فإنها تبلغ ٥٥٪.

وهذا مؤشر عظيم على مكانة الصحيحين من حيث تغطية الأحكام والمعاني التي وردت في السُّنة، وهذه النسبة لن تتغير إلا بنسبة قليلة لو جمعت السُّنة بكاملها ولن تقلّ نسبتها عن ٥٠٪ بحال من الأحوال.

وهذا يؤكد ما أجمعت عليه الأمة بشأن مكانة الصحيحين، ويضيف إلى ذلك بيان المساحة التي يغطيها هذان الكتابان بالنسبة إلى مجموع ما تبقى من كتب السُّنة، وهي كثيرة كثيرة، فهما وحدهما يغطيان نصف الأحكام والمعلومات التي وردت في السُّنة، بل والأحكام التي هي الأساس والأصل.

وبقية الكتب الأخرى على كثرتها تغطي النصف الثاني الذي يشتمل على الفروع والتتمات.

ثانياً: إن مجموع أحاديث الكتب التسعة الموجودة في كتاب «معالم السُّنة النبويّة» هو (٣٦٩١) ونسبتها إلى مجموع أحاديث الكتاب هي (٩٤٪) وهي نسبة كبيرة كما هو واضح.

وهذا دليل ذو قيمة كبيرة يؤكد ما ذهب إليه كثير من العلماء من تقديم هذه الكتب على غيرها، وأنها تغني بالجملة عن غيرها.

ثالثاً: إن مجموع الأحاديث التي أخذت من الكتب الخمسة وهي: ابن خزيمة، وابن حبان، والمستدرک، والسنن الكبرى، والمختارة، هي (٢٣٠) حديثاً، ونسبتها إلى مجموع أحاديث الكتاب، تساوي (٦٪) علماً بأن مجموع أحاديث هذه الكتب هو (٤٦٧٤١) وهذا يؤكد ما ذكرته في الفقرة السابقة من مكانة الكتب التسعة، كما يعطي مؤشراً مهماً، وهو أنه لو استكمل جمع كتب السنة فلن تزيد نسبة أحاديث هذه الكتب على نسبة (١٠٪) وهي نسبة قليلة عندما تقاس بأرقام الأحاديث الكبيرة التي هي أصلها.

إن هذه المعطيات الرقمية التي يسجلها هذا الكتاب، ذات أهمية كبيرة، ولم يكن من الممكن الحصول عليها لولا فضل الله تعالى الذي أعان على إتمام هذا المشروع الكبير في تقريب السنة المطهرة.

الوجيز في السُّنة النبويّة

كنت قد ختمت عملي في «مشروع تقريب السُّنة النبويّة» بصدور كتاب «معالم السُّنة النبويّة» كما ذكرت ذلك عند الحديث عنه.

ولكن المهندس الشيخ باسل الفوزان رئيس إحدى الهيئات الدعوية طلب مني أن أختصر له هذا الكتاب، بحيث يخرج في مجلد واحد، بغية ترجمته إلى عدد من اللغات الأخرى.

فقمّت بتلبية الطلب، وحرصت على أن يتوفر في الكتاب المختصر أمران:

الأول: أن يلبي حاجة الفرد المسلم في معرفة ما يهمه من أمر دينه، وكذلك في أمر دنياه، في معاملاته وعلاقاته الاجتماعية..

الثاني: أن يعطي تصوراً عاماً عن هذا الدين وخصائصه ومزاياه.

وقد بذلت جهدي في سبيل تحقيق ذلك.

وبعد أن استكمل العمل، رأيت أن طباعته باللغة العربية، قد يكون أمراً مفيداً لبعض القراء الذين لا يجدون الوقت للمطولات.

وبهذا أصبح «الوجيز» هو الكتاب السادس عشر في هذا المشروع، والله أرجو أن ينفع به، وبما سبقه، وأن يجعل ذلك خالصاً لوجهه الكريم، إنه نعم المسؤول.



خاتمة الفصول الثلاثة

معطيات مشروع تقريب السُّنة النبويّة

إنَّ هذا المشروع - بحمد الله تعالى - قد لبي حاجات كثيرة، منها:

١ - أصبح الصحيحان - وهما أصح كتابين بعد كتاب الله تعالى - في متناول الأيدي في كتاب واحد هو «الجامع بين الصحيحين» وهذه حاجة لكل مسلم.

٢ - ومن لم يسمح وقته بدراسة «الجامع بين الصحيحين» فإن كتاب «الوافي بما في الصحيحين» يلبي حاجته، كما يلبي حاجة من رغب من طلاب العلم في حفظ الصحيحين.

٣ - وأما كتاب «جامع الأصول التسعة» فإنه يلبي حاجة جميع طلاب العلم، وكثير من العلماء.

٤ - وأما بعض العلماء والباحثين ومن هم بصدد دراسات متخصصة فإن كتب الزوائد التالية - إذا أضيفت إلى «جامع الأصول التسعة» - تلبي حاجتهم، وهي:

- زوائد السنن الكبرى للبيهقي على الكتب الستة.

- زوائد ابن خزيمة وابن حبان والمستدرک على الكتب التسعة.

- زوائد الأحاديث المختارة على الكتب التسعة.

وبهذا يكون معظم السنة الشريفة بين أيديهم.

٥ - إن كتاب «معالم السنة النبوية» يلبي حاجة جميع المسلمين، ممن هم ليسوا من طلاب العلم الشرعي.

إنه كتاب يعطي التصور العام عن السنة المطهرة، فهو خلاصة الخلاصات، وهو وافٍ إن شاء الله - وبحمد الله - بكل الأحكام التي يحتاجها المسلم وكذلك بالمعاني التي وردت في السنة من الفضائل والرقائق والأخلاق والآداب.

٦ - وأما «الوجيز» فهو الدستور لكل مسلم.

وهكذا - بهذه التغطية - يجد كل مسلم حاجته، فالحمد لله حمداً طيباً مباركاً فيه على ما يسّر وسهّل وأعان، وله الحمد كله سبحانه وتعالى.

إلى هنا تنتهي الإجابة على سؤال ابن أخي الأستاذ مصعب عما يتعلق بكتب السنة المطهرة، وبما أن «السيرة النبوية» هي بعض السنة، فسيكون الحديث عنها في الفصل التالي، وجرياً على طريقة الإمام ابن القيم في الاستطرد التناسبي. فساذكر في الباب الثاني بقية ما سطره القلم.



إحصاءات رقمية

وأختم هذه الفصول الثلاثة ببعض الإحصاءات الرقمية لعدد الأحاديث لعلها تساعد على تصور عام حول هذه الكتب:

١ - أحاديث الصحيحين

العدد	الإيضاح
٧٥٦٣	أحاديث البخاري حسب ترقيم فؤاد عبد الباقي.
٣٠٣٣	أحاديث مسلم حسب ترقيم فؤاد عبد الباقي.
٣٩١٦	أحاديث الجامع بين الصحيحين (٣٨٩٦ + ٢٠ رقم مكرر).
١٧٧٤	ما اتفق عليه الشيخان البخاري ومسلم.
٨٣٧	ما انفرد به البخاري (منها عشرة أحاديث معلقة).
١٣٠٥	ما انفرد به مسلم

وقد بلغ عدد أحاديث كتاب «اللؤلؤ والمرجان» فيما اتفق عليه الشيخان (١٩٠٦) بينما هي في «الجامع بين الصحيحين»

(١٧٧٤) والسبب في ذلك أن الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي يكرر بعض الأحاديث، وانظر على سبيل المثال الحديثين (٩٤) و(٩٠١) عنه.

نخلص مما سبق إلى أن:

عدد أحاديث البخاري بعد حذف المكرر (١٧٧٤ + ٨٣٧).	٢٦١١
عدد أحاديث مسلم بعد حذف المكرر (١٧٧٤ + ١٣٠٥).	٣٠٧٩

وقد يسأل سائل: كيف زاد عدد أحاديث مسلم على (٣٠٣٣) الذي جاء في ترقيم فؤاد عبد الباقي؟

والجواب: جاءت أحاديث مكررة في «صحيح مسلم» في أماكن متباعدة عن بعضها، وفؤاد عبد الباقي يعطيها الرقم نفسه، وقد يكون التكرار عبارة عن رواية أخرى للحديث بنص آخر، فمن هنا جاءت الزيادة، وانظر على سبيل المثال الحديث (١٥٠) صفحة (١٣٢)، والحديث (١٥٠) صفحة (٧٣٢).

أقول: ربما كانت هي المرة الأولى التي تنشر فيها إحصائية لعدد أحاديث الصحيحين، والمفاجأة فيها: أن عدد أحاديث مسلم أكثر من أحاديث البخاري، خلافاً لما كان مستقراً في الأذهان.

٢ - أحاديث السنن

(أبو داود، الترمذي، النسائي، ابن ماجه، الدارمي)

العدد	الإيضاح
٢٢٨٤٨	مجموع أحاديث السنن الخمسة.
١٥١٦٠	المخرج منها في الصحيحين.
٧٦٨٨	زوائد السنن على الصحيحين.

٢ - أحاديث الموطأ

العدد	الإيضاح
١٨٩١	بلغت أحاديث الموطأ في عدد من الطبقات
١٧٤٠	أحاديث الموطأ بعد حذف المكرر
٦١٤	المخرج منها في الصحيحين أو أحدهما
١٣٦	المخرج منها في السنن الخمسة
٢٤	المخرج منها في المسند
٩٦٦	انفرد بها الإمام مالك عن الكتب الثمانية

٤ - أحاديث مستند الإمام أحمد

العدد	الإيضاح
٢٧٧٣٩	أحاديث المسند وفقاً لطبعة مؤسسة الرسالة (٢٧٦٤٧) يضاف إليها مكررات الرقم (٢٤٠٠٩) وهي (٩٢)، فالمجموع.
٩٥٦٦	أحاديثه بعد حذف المكرر.
٣١١٥	المخرج منها في الصحيحين أو أحدهما.
٢٩٠٥	المخرج منها في «السنن» و«الموطأ».
٣٥٤٦	انفرد بها الإمام أحمد عن الكتب الثمانية.

هذا ما توصلتُ إليه عندما يسّر الله إخراج المسند في «دار القلم» وهذه الإحصائية أصح مما جاء في مقدمة «زوائد الموطأ والمسند».

٥ - أحاديث السنن الكبرى للبيهقي

العدد	الإيضاح
٢١٨١٢	أحاديث السنن الكبرى وفقاً لطبعة «دار الكتب العلمية» بتحقيق عطا.

العدد	الإيضاح
٧٧٩٧	المخرج في الصحيحين منها، كما ذكر الدكتور نجم خلف.
٦٣٣٨	المخرج في السنن الأربعة.
٧٦٧٧	الزائد على الكتب الستة.

٦ - أحاديث صحيح ابن خزيمة

العدد	الإيضاح
٣٠٧٩	أحاديثه.
٢٧٨٣	المخرج منها في الكتب التسعة.
٢٩٦	الزائد على الكتب التسعة.

٧ - أحاديث صحيح ابن حبان

العدد	الإيضاح
٧٤٩١	أحاديثه.
٦٩٦٠	المخرج منها في الكتب التسعة.
٥٣١	الزائد على الكتب التسعة.

٨ - أحاديث المستدرک

العدد	الإيضاح
٨٨٠٣	أحاديثه وفقاً لطبعة دار الكتب العلمية بتحقيق عطا.
٥٣٠٠	المخرج منها في الكتب التسعة (تقريباً).
٣٥٠٣	الزائد على الكتب التسعة (تقريباً).

٩ - أحاديث المختارة

العدد	الإيضاح
٥٥٢٠	أحاديث الكتاب.
٤٣٨٢	المخرج منها في الكتب التسعة.
١١٣٨	الزائد على الكتب التسعة.

١٠ - المجموع

العدد	الإيضاح
١١٤١٩٤	مجموع أحاديث الكتب السابقة وهي (١٤) كتاباً.
٢٨٤٣٠	مجموع أحاديثها بعد حذف المكرر.



الفصل الرابع

السيرة النبوية

السيرة النبوية هي بعض - السنة المطهرة -
نجدها في الكتب الجوامع، كالجامع الصحيح
للإمام البخاري، والجامع الصحيح للإمام مسلم،
وجامع الإمام الترمذي..

ولا نجدها إلا قليلاً في كتب - السنن - وذلك
لأن هذه الكتب عنت بأحاديث الأحكام.. فما كان
من أحاديث الأحكام من السيرة ذكرتها.

وإذا رجعنا إلى كتاب «الجامع بين الصحيحين»
- وهو في أربعة أجزاء - وجدنا معظم الجزء الرابع
في السيرة، أي: بمعدل خمس الكتاب كله، وهي
مساحة كبيرة...

وفي هذا الفصل أذكر باختصار ما من الله عليّ
من كتابته في هذا الموضوع ودواعي ذلك.



من معين السيرة

في صيف عام ١٩٨٢ م في شهر رمضان عام ١٤٠٢ هـ دعاني مدير المعهد الذي كنت أدرس فيه، لإلقاء محاضرة عن غزوة بدر في مناسبتها من الشهر الكريم.

وفي الإعداد لهذه المحاضرة رأيتُ أن جميع الناس يعرفون الكثير عن هذه الغزوة، فما عسى أن أفيدهم من كلامي، ثم رأيتُ أن لا أعتد سرد الوقائع، وإنما انتقيتُ بعض المواقف وشرحتها وعلّقتُ عليها..

رتبت الكلام في ذهني عن المواقف التي أردت الكلام فيها.. وألقيتُ المحاضرة.. ولاقى - بحمد الله - استحساناً كبيراً..

ولما رجعتُ إلى البيت فكّرتُ وقلتُ في نفسي: لماذا لا أكتب السيرة بهذا الأسلوب وهذه الطريقة..

وكان كتاب «من معين السيرة»..

وحملتُ مخطوطته وجئتُ إلى الرياض واتجهتُ إلى مندوب «المكتب الإسلامي» وقدمتُ له الكتاب طالباً منه إيصاله إلى بيروت.. فما كان من المندوب إلا أن قال: يا أستاذ.. إن كتب السيرة كثيرة،، وامتنع بشكلٍ لبقٍ عن

استلامه.. وحملتُ الكتاب.. واتجهتُ في طريق العودة إلى «الدم» حيث كنتُ أعمل مدرساً في معهدها.. ثم خطر بفكري أن أزور زميلي وصديقي الأستاذ محمود شاكر - المؤرخ - رحمته الله فاتجهتُ إلى بيته.. وكان فيما جرى من حديث الحديث عن الكتاب..

وما أن سمع القصة حتى قال: قم بنا.. وركبنا السيارة واتجهنا إلى مندوب المكتب ثانية، ليقول له الأستاذ محمود: نحن لم نطلب رأيك في الموضوع، وإنما نطلب أن توصل الكتاب إلى بيروت.. وطبع الكتاب.

كان كتاب «من معين السيرة» أول كتاب خطته يدي، وكان ذلك بعد الخامسة والأربعين من العمر.. وذلك أنني كنتُ لا أرى نفسي أهلاً لذلك.. ولولا تلك المحاضرة لم يكن ذلك الكتاب.



وقد لاقى - بحمد الله - قبولاً حسناً من القراء على الرغم من أن اسم المؤلف يظهر في السوق لأول مرة.





كتاب «المواهب اللدنية» للقسطلاني

كنتُ قرأتُ كتاب «قصص من التاريخ» للشيخ علي الطنطاوي رحمته الله، وكان مما جاء في مقدمته - ناصحاً القارئ أن يهتم بمطالعة كتب السيرة - قوله:

«وابدأ فانظر ما أُلّف في سيرة سيد البشر ومعلم الخير ﷺ، وكيف دوّنت حركاته وسكناته وألفاظه وإشاراته، في مئاتٍ من الكتب، وإذا شئتَ كتاباً يكاد يغني عن هذه الكتب كلها، ولا يغني عنه كتاب، فاطلب شرح المواهب للزرقاني»..

ولما قرأتُ قوله هذا سارعتُ إلى شراء هذا الكتاب، وهو في (٨) مجلدات من القطع الكبير، وجاء فيه شرح الزرقاني على طريقة المزج، أي أن الشرح لم يأتِ تعليقاً في حاشية الكتاب، وإنما يأتي بالجملة أو الكلمة من قول القسطلاني ويضعها بين قوسين ثم يأتي شرح ذلك...

وهذا أمر متعب للقارئ، لأن الشارح كثيراً ما يخرج عن مادة السيرة، ليناقش مسألة في الأصول أو اللغة أو الفقه.. الأمر الذي يقطع قراءة القارئ للسيرة..

ومنذ رأيتُ الكتاب تمنيتُ أن أعمل عملاً أجعل فيه

كتاب القسطلاني في أعلى الصفحة، وأجعل الشرح في الحاشية، بحيث يستطيع القارئ الاقتصار على المتن لو أراد..

ثم شغلت.. وانصرفْتُ عن الموضوع.

وبعد خروج كتاب «من معين السيرة» عادت الفكرة إلى الذهن، وعدتُ أنظر في الكتاب.. ثم عزمْتُ على العمل..

ولمّا عزمْتُ على ذلك فكرتُ في أن أحصل على مخطوطة أوثق فيها العمل الذي سأقوم به.. فلم يتيسر ذلك، فرأيتُ أن أقوم بتحقيق الكتاب وأضيف إليه من الشرح كل ما يتعلق بالسيرة وأضع ذلك في الحاشية.

وبهذا أكون قد خدمتُ الكتاب من ناحيتين: تحقيق الكتاب، والاقتصار من الشرح على ما له صلة بالسيرة، وفي هذا ما فيه من توفير الوقت على القارئ مع حصوله على الفائدة المرجوة.

ويسّر الله لي الحصول على ثلاث مخطوطات، وعلى مطبوعة قديمة، إضافة إلى شرح الزرقاني.. وتمّ تحقيق الكتاب بموجب ذلك، الأمر الذي شرحته تفصيلاً في مقدّمة الكتاب الذي قام بطبعه المكتب الإسلامي في أربعة مجلدات.

ومن المفيد أن أشير إلى أنني بذلتُ جهدي في إخراج الكتاب على أحسن ما أستطيع، ولا أريد أن أطيل الكلام

في ذلك، فهو موجود في مقدّمة الكتاب، والكتاب دليل على ذلك.

ومن جملة ما قمتُ به: وضع عناوين فرعية - كان الكتاب خلواً منها - تُسهّل على الباحث الرجوع إلى ما يريد، كما تساعد القارئ على معرفة الأفكار الرئيسة في كل موضوع.

وقد طبّعتُ «شرح الزرقاني» بعد ذلك «دار الكتب العلمية» في بيروت، وأخذتُ هذه العناوين كاملة.. دون أن تشير إلى واضعها بكلمة.

* * *

من معين الشمائل

بعد اشتغالي بكتب السُّنَّة المطهَّرة، الأمر الذي أتاح لي الاطلاع على كثير من شمائله ﷺ، رأيتُ أن أجمع كتاباً في ذلك. ورجعت إلى كتب الشمائل قبل مباشرة العمل، فرأيتُ مساحة الحديث عن الشمائل فيها ضيقة محدودة.

فالإمام الترمذي اقتصر على ذكر: الكلام، والضحك، والمزاح، والزهد، والشجاعة.

واقصر الإمام ابن كثير على ذكر: الأخلاق، والكرم، والمزاح والزهد، والشجاعة.

واقصر الإمام البغوي - وكتابه أوسع كتب الشمائل - على: حسن الخلق، والحلم والعفو، والرفق، والرحمة والشفقة، والبكاء والضحك، والحياء، والشجاعة، والجود، والتواضع، والخوف.

ولعلَّ الذي دفعهم إلى ذلك، وهو قصرهم الشمائل على الجانب الإيجابي الفعلي، فهم في الغالب يريدون لكل عنوان واقعة مادية يُستشهد بها عليه، والخلق الذي لا تتوفر له تلك الواقعة، لا يذكرونه.

وعندما ننعم النظر، فإننا نستطيع تقسيم الشمائل إلى ثلاثة أنواع:

الأول: شمائل إيجابية فعلية، ومن أمثلتها: الشجاعة والحياء، وهذا النوع هو الذي اقتصر عليه كتاب الشمائل.

الثاني: شمائل إيجابية دلّ عليها قوله ﷺ، وهي ما حضّ عليه ﷺ من أعمال البرّ، مما لا يظهر في الوقائع المادية، وإنما تظهر آثاره من خلال السلوك العام، وقد لا تظهر بعض الأحيان، كالإخلاص.

فعندما يأمر النبي ﷺ بأمر، فلا بدّ وأنه كان ملتزماً به وفاعلاً له، فما كان ﷺ ليأمر بشيء، ثم لا يفعله.

ولا شك بأن هذا السلوك مما يدخل في الشمائل.

الثالث: شمائل سلبية، ويتمثل هذا النوع في الامتناع عن سيئ الأخلاق، وهذا جانب مهم في موضوع الشمائل، ولم يذكره أحد ممن كتب في هذا الموضوع فعملتُ على إظهار هذه الجوانب جميعها..

على أنه مهما بذل الباحث من جهد في محاولة لاستيعاب شمائله ﷺ، فإنه سيظل مقصراً، إذ لا يمكن استقصاء ذلك، وستظل كتب السُّنة هي المرجع الأوفى لهذا الغرض وغيره، مما يتعلق بالنبي الكريم ﷺ.

ولهذا كان اختيار عنوان الكتاب: «من معين الشمائل» ليكون مطابقاً للواقع، إذ المذكور فيه إنما هو نماذج.

وأحمدُ الله تعالى أن يسّر لي أن أذكر في هذا الكتاب ما لم أسبق إليه، من شمائل لم يتعرض أحد لذكرها.

من معين الخصائص النبويّة

يسرّ الله تعالى العمل على إخراج هذا الكتاب بعد كتاب «من معين الشمائل» لاستكمال بعض الجوانب مما يتعلق بسيرته ﷺ.

والمقصود بالخصائص: ما خصّ الله به رسوله ﷺ من التكريم والتشريف..

والخصائص في جملتها ترجع إلى نوعين:

- خصائص الأحكام: مثل إباحة الزواج بأكثر من أربعة..
- وخصائص الفضائل: مثل عموم رسالته ﷺ، وكونه خاتم النبيين..

وكتب الخصائص كثيرة، وقد أصاب بعضها السمن والورم، وذلك لأسباب منها:

- ١- التساهل في قبول الأحاديث، فقد تساهل معظم كتّاب السيرة في قبول الأحاديث الضعيفة، ويرون أن وضعها في الباب حسن، والأمثلة على ذلك كثيرة ذكرت بعضها في مقدمة الكتاب.
- ٢- القول بالخصوصية لأدنى احتمال، علماً بأن الخصوصية لا تثبت إلا بنصّ صحيح.

٣ - كثرة التفريعات، ومن أمثلة ذلك مسألة القول بوجوب صلاة الضحى على النبي ﷺ، والكلام الطويل في ذلك والذي لا طائل وراءه.

٤ - التسابق بين المؤلفين إلى استدراك بعض الخصائص، وأصبح ذلك هدفاً لبعضهم..

٥ - يضاف إلى ذلك غياب الالتزام لدى بعضهم بقواعد وضوابط التخصيص، وهو السبب الرئيس الذي أدى إلى هذا الخلل.

وبعد هذه المقدمة أقول:

هدفني من هذا الكتاب، هو الوقوف عند الصحيح من سيرته ﷺ مما تشهد به الأدلة الصحيحة، بعيداً عن المبالغات التي اعتمدت على الأحاديث الضعيفة والواهية بل والموضوعة.

وقد عملتُ على الالتزام بما قصدتُ، فجاء بحمد الله كتاباً يؤدي الغرض في بابه، ويعطي تصوراً عاماً دقيقاً عما جاء في الكتب الأخرى.

وفي مقدمة الكتاب بحث وافٍ عما كتب عنه ﷺ وأنواع ذلك وأقسامه، وبحث آخر أيضاً عن كتب الخصائص، الأمر الذي يغني القارئ عن الرجوع إلى كثير من الكتب ويعطيه تصوراً عنها.

السيرة النبويَّة (تربية أمة وبناء دولة)

هذا الكتاب هو نمط جديد من السيرة، لم أر من كتب فيه من قبل، أردتُ فيه أن أرصد حركة الدعوة التي ربيت عليها الأمة خلال حياته ﷺ، ثم بيان كيف تمَّ بنيان الدولة بعد ذلك.

إنَّ تتبع حركة هذا الدين على يديه ﷺ ومعرفة ترتيبها، الأول فالأول، في محاولة للتأسي بها في تربية جيل يحمل الإسلام مرة أخرى، واجبٌ على علماء هذه الأمة، ولعله من أول الواجبات.

إن تربية الأفراد طويلاً سبقت إقامة المجتمع الإسلامي، وإن التدريب على الصبر تربية للنفوس، سبق مطالبتها بالصبر في ميادين القتال.

إننا بحاجة إلى دراسة متأنية للسيرة، لا باعتبارها أعمالاً وأقوالاً فحسب، وإنما باعتبار هذه الأعمال والأقوال وردت في ترتيب زمني، وفق أولويات رُوعي فيها الوضع النفسي والعدي والمادي.. للجماعة المسلمة.

إن مثل هذه الدراسة أمر ضروري إذا أُريد إعادة بناء مجتمع مسلم.

وإنني إذ أسهم في هذا الميدان بهذا الجهد المتواضع الذي كلف الكثير من الوقت وإعمال الفكر لإنتاجه.. أرجو أن يكون حافزاً لتوسيع هذا النمط من البحث ممن هم أقدر مني على ذلك.

وأرى أنه من المستحسن أن أضع بين يدي القارئ الكريم منهج البحث الذي اعتمدته في هذا الكتاب، فقد يعطي بعض التصور عن هذا الموضوع.

* * *

قسمتُ هذا البحث إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: ويتحدث عن حركة الدعوة في مكة. وفيه ثلاثة أبواب:

الأول: يتناول الحديث عن مراحل سير الدعوة.
الثاني: يتحدث عن التربية في المرحلة المكية.
الثالث: يتحدث عن مسارات التربية وسماتها.

القسم الثاني: يتحدث عن الهجرة. وفيه فصلان.
الأول: يبحث أمر الهجرة إلى الحبشة.
الثاني: يبحث أمر الهجرة إلى المدينة.

القسم الثالث: ويتحدث عن حركة الدعوة في المدينة. وقد قسمتها إلى ثلاث مراحل. وفيه ثلاثة أبواب:

الأول: يبحث المرحلة الأولى من الهجرة إلى بدر.
 الثاني: يبحث المرحلة الثانية: من بدر إلى صلح
 الحديبية.
 الثالث: يبحث المرحلة الثالثة: من الصلح إلى نهاية
 العهد النبوي.

وفي كل من هذه الأبواب: الفصول التالية:

١ - بحث الحياة السياسية والعسكرية.

٢ - بحث الوضع السكاني.

٣ - بحث حركة الدعوة.

٤ - بحث الوضع الاقتصادي.

٥ - بحث التربية.

* * *



سيرة النبي ﷺ في بيته

جعل الله سبحانه وتعالى رسوله ﷺ أسوةً للمسلمين يقتدون به، كل فيما يشره الله له من عمل - فهو الأسوة للدعاة إلى الله يقتبسون من سيرته في دعوتهم..

والقاضي يتأسى به في قضائه، والمفتي، والقائد، والأمير.. وهكذا في كل شؤون الحياة.

ولعل الأمر الذي يحتاج إليه كل مسلم، هو التأسي به ﷺ في سلوكه في بيته مع أزواجه وأولاده، وكل ما يتصل بذلك. فكل رب أسرة بحاجة إلى معرفة هذه السيرة ليسيّر على هديها.

والبيوت - عادة - مكان الخصوصية، والمكان الذي لا يحب الإنسان أن يطلع الناس عليه، حيث يأخذ المرء حرّيته في تصرفاته.

ولكن بيته ﷺ أو بيوته - وإن كان لها أبواب أو ستور تحجبها عن الناس - فإن كل ما كان يحدث فيها، كان يُنقل إلى الناس، بما في ذلك أدق التفاصيل مما يعتبر من خصوصيات الإنسان، لا في طريقة أكله وشربه ونومه فحسب، وإنما في أحاديثه الخاصة مع زوجاته.. وفي غضبه ورضاه.

وقد تكفلت زوجاته رضي الله عنهن بنقل ذلك إلى الناس.. وكذلك من كان يدخل عليهن كابن عباس وابن عمر رضي الله عنهما.

وكان هذا من رحمة الله تعالى بهذه الأمة، حتى يصوغ الناس بيوتهم وفقاً للمثال الذي عاشه النبي ﷺ.

وقد حاولتُ في هذا الكتاب أن أسجل كل ما وصل إلى علمي في هذه الدائرة وهو جهد المقل، وعسى أن يبارك الله به.

والذي أراه أن هذا الكتاب يمكن اعتباره نواة لهذا الموضوع، يحتاج إلى استكمال. وأرجو أن يهيء الله لي ذلك أو لغيري ممن هم أكثر علماً وأوسع فهماً.

• • •

المهذب من (الشفأ) للقاضي عياض

كتاب «الشفأ بتعريف حقوق المصطفى» للقاضي عياض اليحصبي.

هذا الكتاب محسوب في جملة كتب الشمائل، والشمائل باب من أبوابه، والمؤلف لم يقصد إلى تأليف كتاب في الشمائل، وإنما قصد إلى بيان مكانة النبي ﷺ التي شرفه بها الله سبحانه وتعالى، ثم بيان ما يلزم المسلم تجاهه من حقوق التوقير والتعظيم والاحترام.

وبهذا كان الكتاب فريداً في باب، فلم يؤلف على منواله، وإنما تناوله العلماء بالشرح والإيضاح، فكثرت شروحه.

وقد انتشر الكتاب انتشاراً واسعاً، وأصبح علماً يعرف به صاحبه فيقال: «صاحب الشفأ».

وإذا كان هذا يدلنا على مكانة الكاتب والكتاب، فإن ذلك لا يمنع أن يكون في الكتاب من الأمور ما ينتقد المؤلف من أجله.

وهذه الأمور التي هي محل النقد لا تنقص من قيمة الكتاب، ولا تضع مكانة المؤلف وكان من الممكن الإغضاء

عنها لولا أن الموضوع متعلق بسيرته ﷺ، الأمر الذي يؤدي إلى خلل في التصور عن هذا الرسول الكريم ﷺ.

إن كتاب «الشفأ» على مكانته الرفيعة، اشتمل على عدد غير قليل من الأحاديث الضعيفة، وعدد لا بأس به من الأحاديث الموضوعة، الأمر الذي يخرج الكتاب عن أداء الصورة الصادقة التي توخّاها مؤلفه ﷺ.

قال الإمام الذهبي: «إن الكتاب محشو بالأحاديث الموضوعة والتأويلات الواهية».

وقد أشار الشَّرّاح وبعض المعتنين بالكتاب إلى هذه الأحاديث أو بعضها، وربما تغاضوا عن بعضها الآخر، ثقة بعلم المؤلف.

وسواء أُشير إليها أم لم يُشَر، فإن هذه الأحاديث ظلت آخذة مكانها من الكتاب، تقرؤها عامة الناس على أنها مسلمّات.

فكان لا بدّ من تهذيب الكتاب وتخليصه من الشوائب، وعندها يتناول القارئ الكريم الكتاب مطمئناً لما ورد فيه، لا يعكر صفو انسياحه مع ما يعرضه المؤلف بأسلوبه الجميل، مجيء حديث موضوع أو ضعيف، فيذهب بذلك الجمال، ويعكر ذلك الصفاء.

وقد أثنى المؤلف ﷺ على كتّاب السيرة الذين حذفوا كل ما يسيء إلى الرسول ﷺ فقال:

«وقد ذكر بعض من أُلّف في «الإجماع»: إجماع المسلمين على تحريم رواية ما هجي به النبي ﷺ، وكتابه وقراءته، وتركه متى وجد دون محو.

ورحم الله أسلافنا المتقين، المتحرزين لدينهم، فقد أسقطوا من أحاديث المغازي والسير ما كان هذا سبيله..».

وإذا كان هذا رأيه فيما يسيء إلى النبي ﷺ، فما من شك بأن كثيراً من الأحاديث الموضوعة والضعيفة فيها من الإساءة قريباً من تلك الأخبار التي حذفها كتاب السيرة، وقد ذكرت أمثلة على ذلك في مقدمة الكتاب.

تلك هي الدواعي لتهذيب الكتاب، وقد خرّجت الأحاديث المتبقية، كما عملتُ على العناية بالكتاب من حيث الإخراج من ترقيم الفصول، ووضع عناوين للفصول التي تركها المؤلف بغير عناوين، وضبط النص، ووضع علامات الترقيم وغير ذلك مما هو ضروري لإخراج الكتاب بالشكل الذي يتناسب مع موضوعه.

أهل الصفة (بعيداً عن الوهم والخيال)

كانت قبلة المسلمين الأولى هي بيت المقدس، وعندما هاجر الرسول ﷺ إلى المدينة كان بناء المسجد أول الأعمال التي قام بها، وكان عبارة عن أرض أُحيطت بأربعة جدران، ظلل جانبه الذي يلي جدار القبلة بسعف النخل..

ولما نزل القرآن الكريم بتحويل القبلة إلى المسجد الحرام، وكانت في الاتجاه المقابل للاتجاه الأول، ترك المكان الأول، وظلل الجانب الثاني ليصبح مكان الصلاة.

وأطلق على المكان الأول اسم «الصفة» وأصبح مكاناً ينزل فيه المهاجرون العزاب ريثما يهيأ للواحد منهم السكن.

وأهل الصفة هم الذين أقاموا في هذا المكان تلك الإقامة المؤقتة، فبعضهم أقام ليوم أو ليومين، وبعضهم أقام شهراً، وربما أقام بعضهم مدة أطول من ذلك.

هذه هي الصفة، وهؤلاء هم أهلها.

ومع مرور الأيام.. نسجت القصص والأساطير حول أهلها..

فَجْعَلُوا أَفْضَلَ الصَّحَابَةِ، وَقِيلَ إِنَّهُمْ كَانُوا مُتَفَرِّغِينَ
لِلْعِبَادَةِ.. وجعلهم بعضهم أصلاً في منشأ التصوف.. إلى غير
ذلك من الترهات..

فَرَأَيْتُ أَنَّ أَصْحَحَ التَّصَوُّورِ الْقَائِمِ فِي بَعْضِ الْأَذْهَانِ حَوْلَ
هَذَا الْمَوْضُوعِ مِمَّا لَا يَمُتُّ إِلَى الْوَاقِعِ وَالْحَقِيقَةِ بَصْلَةً.

فَكَانَ هَذَا الْكِتَابُ، الَّذِي أَرْجُو أَنْ يَنْفَعِ اللَّهَ بِهِ، وَهُوَ وَإِنْ
كَانَ صَغِيرَ الْحَجْمِ، فَإِنَّ الْجَهْدَ الْمُبْذُولَ فِي إِعْدَادِهِ لَا يَتَنَاسَبُ
مَعَ عَدَدِ صَفَحَاتِهِ.

* * *

وَقَدْ وَصَلْتَنِي رِسَالَةٌ مِنْ أَحَدِ الْقُرَّاءِ مِنَ الْجَزَائِرِ، بَعَثَ بِهَا
إِلَى «دَارِ الْقَلَمِ» الدَّارَ النَّاظِرَةَ، وَفِيهَا يَثْنِي عَلَى الْكِتَابِ
وَيَقُولُ: إِنَّهُ كَانَ سَبَباً لِتَصْحِيحِ هَذَا الْمَوْضُوعِ، لَدَى كَثِيرٍ مِمَّنْ
قَرَأَ الْكِتَابَ.

* * *

الغرائيق (قصة دخيلة على السيرة النبويّة)

وخلاصة القصة: أن الرسول ﷺ كان في مجلس ضم المسلمين والمشركين، وقرأ فيه سورة النجم، فلما وصل إلى قوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّتَّ وَالْعُزَّىٰ * وَمَوَدَّةَ الْتَأْتِيَةِ﴾ [النجم: ١٩، ٢٠] ألقى الشيطان على لسانه: «تلك الغرائيق العلا وإن شفاعتهن لترتجى»..

وقد ذكر هذه القصة كثير من كتب السيرة وكثير من كتب التفسير، وهي قصة باطلة، تكلم في إبطالها كثير من علماء المسلمين، وروج لها المستشرقون.

وقد أفردوا بعضهم بالتأليف، لإشباع القول فيها.

وجميع الذين تكلموا في إبطالها اعتمدوا على إبطال أسانيدها، وأطالوا القول في ذلك.

وقد يسّر الله لي طريقاً آخر في إبطالها، وذلك عن طريق نقد متن القصة، واعتمدتُ على عامل الزمن وترتيب الحوادث في هذا الإبطال، وهذا النوع من النقد عنده كلمة الفصل في الموضوع.. ولم أرَ من أبطل القصة بهذه الطريقة.

فالحمد لله على ما منَّ به من الفهم والفقه.



أضواء على دراسة السيرة

هذه مجموعة من المحاضرات ألقى في قاعة محاضرات الجمعية الإسلامية في مدريد. في صيف عام ١٩٩٠، وقد طبعتها هذه الجمعية في «المكتب الإسلامي».

وهذه المحاضرات تعالج أمرين في شأن دراسة السيرة.

الأول: ويتناول المعلومات الأساسية لدراسة السيرة.

الثاني: وفيه دراسة لبعض الموضوعات لتكون نماذج

للبحث.

منها:

- قضية فترة الوحي.
- الهجرة إلى الحبشة.
- قصة الغرانيق.
- حادثة «غدير خم» .. وغيرها.





هكذا فهم الصحابة

جيل الصحابة ﷺ هم القوم الذين اختارهم الله تعالى ليكونوا أصحاب نبيه ﷺ، في مهمة حمل رسالة الهداية.

هذا الجيل جيل فريد، لأنه عايش نزول آيات القرآن الكريم آية آية، فعاش الكلمات وعاش الأحرف، وعاش النبضات.. ورأى تصبب العرق عن وجهه ﷺ عند نزول الوحي.

عاش التكذيب والاضطهاد، والتعذيب والحصار..

هذا الجيل أتيح له ما لم يتح لغيره، ولهذا كانت خبراتهم وتجاربهم وفهمهم للأمور يُعدُّ مرجعاً في فهم كتاب الله تعالى وسُنَّة رسوله ﷺ.

وقد جمعتُ أثناء دراستي للسيرة عدداً من مواقف الصحابة، وشرحتها وعلَّقتُ عليها.. فكانت هذه الرسالة.

الخلق العظيم

على صاحبه أفضل الصلاة والتسليم

جمعتُ في هذا الكتاب ما تيسَّر لي من الحديث عن أخلاقه ﷺ، وإن كان هذا الموضوع لا يستطيع أن يوفيه حقه أحد.

والكتاب ليس عملاً جديداً، وقد ورد الحديث عن ذلك في كتاب «من معين الشمائل» ولما كانت الحاجة ملحة للتعرف على أخلاقه ﷺ بغية التأسي بها، رأيتُ أن أفرد هذا الموضوع من كتاب الشمائل، وهو يعدل نصفه، وذلك لأن بعضهم قد لا يعلم أن عنوان «الشمائل» يشتمل على الأخلاق بمفهومها العام.

الباب الثاني

ما سطره القلم



ذلك ما يسّر الله العمل عليه في السُّنة والسيرة،
وتحدثاً بنعمة الله وفضله سأذكر تحت عنوان «ما
سطره القلم» الأعمال الأخرى التي أُتيح لي إنجازها
وستكون تحت العناوين التالية:

- ١ - في الأخلاق وتهذيب النفس.
 - ٢ - مشروع تقريب تراث الإمام ابن القيم.
 - ٣ - دراسات جمالية.
 - ٤ - علم المواريث.
 - ٥ - تلاوة القرآن.
 - ٦ - تراجم.
 - ٧ - في الثقافة الإسلامية.
- هذا وسيكون الحديث في هذه الفصول مختصراً.



الفصل الأول

في الأخلاق وتهذيب النفس



المهذب من إحياء علوم الدين

يعدُّ كتاب «إحياء علوم الدين» أعظم كتب الغزالي وأكثرها شهرة، وقد أخذ مكانته في المكتبة الإسلامية، وفرض وجوده على مرِّ الأيام، منذ ألفه مصنفه وحتى وقتنا الحاضر و«لا يعرف كتاب - بعد القرآن والصحاح - أثر في حياة المسلمين مثله» كما يقول الدكتور القرضاوي.

وقد كثرت مختصرات هذا الكتاب، وكثير منها ما زال مخطوطاً.

والذي دفعني إلى تهذيب هذا الكتاب: أنني كنت في إحدى مكتبات «الكتاب المستعمل» التي قد يوجد فيها من الكتب ما لا يوجد في غيرها، فوقع بصري على كتيب صغير، عنوانه: «الإمام الغزالي بين مادحيه وناقديه» للدكتور يوسف القرضاوي، وقرأت الكتاب وكان مما جاء فيه:

«وكم أتمنى أن يختصر من الكتاب - أعني الإحياء - (منتقى) يبقى على روحه وحرارته، كما يبقى على فوائده العلمية والتربوية، وهي كثيرة وفيرة، ويحذف التجاوزات والمبالغات، والأحاديث الضعيفة.. وبهذا نقدّم للثقافة الإسلامية خدمة جليلة».

وبعد قراءتي لهذا الاقتراح وجدتني منشراح الصدر للقيام بهذا العمل..

لم تنشأ صلتني بهذا الكتاب بعد قراءتي لكتاب القرضاوي، وقد كنتُ قرأتُ معظمه أثناء دعوتي للاحتياط الثاني في الجيش.. وكان المكان في سهل قريب من بلدة «نوى» في حوران..

وعدتُ إلى الكتاب أضع خطة لتهذيبه، بعد أن اطلعتُ على أكثر من مختصر مخطوط له في مكتبة جامعة الإمام، حيث لم أجد في هذه المختصرات ما يلبي الحاجة، لأن غايتها كانت تقليل حجم الكتاب، دون الاعتماد على منهج في الاختصار.

ووضعتُ الخطة للعمل وباشرته وخرج الكتاب في مجلدين بعد أن كان في أربع مجلدات من القطع الكبير. لا مجال لتفضيل القول فيما قمتُ به من عمل فذلك مذكور في مقدمة الكتاب.

ولكي أقول إن «التهذيب» هو صورة مصغرة للكتاب، لها ما للصورة الكبيرة، وفيها ما فيها من المعالم والظلال.. حافظتُ فيه على أبوابه الأربعين فلم أحذف شيئاً منها. وقد لاقى قبولاً واستحساناً - بحمد الله - وطبع للمرة الثالثة في دار القلم بدمشق.

* * *

وفي يوم من أيام عام ٢٠١٤م دق جرس الهاتف. وتكلم رجل فسلم، ثم قال: نهئتُك ونخبرك بأن كتاب «المهذب من إحياء علوم الدين» قد ترجم إلى اللغة الصينية، فشكرته.. ومن فرحي بالخبر نسيت أن أسأله عن اسمه..

تهذيب حلية الأولياء للأصبهاني

ما زال كتاب «حلية الأولياء» منذ وضعه مؤلفه، هو الإمام والمرجع في الموضوع الذي يعالجه، ولم يؤلّف بعده مثله في موضوعه.

وهو كتاب كبير يقع في عشرة أجزاء.

وقد جمع الكتاب كثيراً من أخبار الزهد والورع والتقوى والصلاح، بل - وكما قال في مقدمته - من أخبار المتصوفة.

والكتاب لا يعتني في تراجمه بالمنشأ والمولد وتاريخ الوفاة والرحلات.. فليس هذا من اهتماماته.

وهو يحرص على التفريق بين فريقين ممن أطلق عليهم اسم التصوف: بين من تحقق به وبين من ادعاه.

وقال: «ونبرأ من المتعظمين والمتعمقين، ومن أهل الدعاوى.. ومن الكسالى...، المتشبهين بهم في اللباس والمقال، والمخالفين لهم في العقيدة والفعال».

وقد ذكر الدكتور محمد الصباغ محاسن كثيرة للكتاب منها:

- ١ - يرى القارئ فيه مثلاً علياً فاضلة.
- ٢ - هو أوسع كتاب ذكر فيه أسماء النساء والعباد حتى عصره.

٣ - وهو من أغنى الكتب بالحكم المختارة النافعة، والكلمات المؤثرة..

٤ - فيه مجموعة قيمة من المناجيات الإلهية..

• • •

وأما ما دعاني إلى تهذيبه فهو:

١ - إن المصنف يورد أخباره ومواعظه.. بالإسناد، وقد يكون الإسناد أطول من الخبر أو الموعظة، فرأيتُ أن حذف ذلك أمر مفيد وقد فعل السلف ذلك.

فهذا الحسن البصري يسأله أحد المستمعين في مجلس وعظه عن خبر: عمن؟ فيقول الحسن: وما تصنع بعمن؟ أما أنت فقد نالتك موعظته، وقامت عليك حجته، وقال ذو النون المصري: إسناد الحكمة وجودها.

٢ - يورد المصنف للخبر الواحد روايات متعددة تبعاً لتعدد الإسناد، فأبقيتُ على رواية واحدة وحذفتُ المكررات.

٣ - قد يتكرر الخبر في ترجمة عدد من الشيوخ فأبقيتُ على ذكر مرة واحدة في المكان المناسب لذلك.

٤ - مما أخذ على المؤلف تكرار بعض التراجم، فحذفتُ التكرار، وأضفتُ الزيادة إن وجدتُ في الترجمة الثانية إلى الأولى.

٥ - حذفتُ المنامات، إذ هي أمور تتعلق بمن رآها.

٦ - يذكر المصنف في نهاية كل ترجمة ما رواه صاحب الترجمة من الأحاديث، فحذفت ذلك كله، فالأحاديث تطلب في كتبها، وكثيراً ما كانت هذه الأحاديث أكبر من ضعفي الترجمة.

٧ - قسم المؤلف كتابه إلى عدة أقسام، تظهر لمن أمعن النظر في قراءة الكتاب، فلم تكن الفواصل بين الأقسام واضحة؛ لأنها جاءت في سطرين أو أكثر، ولم تلق هذه الفواصل العناية ممن طبعوا الكتاب.

فأظهرت هذه الفواصل وقد أضفت إليها تقسيمات أخرى من أبواب وفصول لتكون واضحة جلية، والأبواب والفصول ليست في الأصل ولكنها من عملي إيضاحاً لتقسيم المؤلف.

٨ - وقد أضفت أموراً تحسينية كثيرة لا مجال لذكرها..

فجاء الكتاب - بحمد الله - في ثلاثة أجزاء، مؤدياً الغرض الذي قصد إليه المؤلف كاملاً وطبعه «المكتب الإسلامي».



ويحسن هنا أن أذكر، أنه بعد ظهور الكتاب جاءتني رسالة من أحد القراء، بعث بها عن طريق «المكتب الإسلامي» خلاصتها: أن كتاب «تهذيب حلية الأولياء» لا فائدة جديدة فيه، فقد سبق إلى هذا العمل الإمام ابن الجوزي حيث اختصر الكتاب في كتاب «صفوة الصفوة»..

وأجبتة برسالة خلاصتها:

- ١- من قال إن كتاب «صفوة الصفوة» هو مختصر لـ «حلية الأولياء»؟ وابن الجوزي لم يقل هذا في مقدمة كتابه ولا في ثناياه!!
- ٢- إن كتابي هو «تهذيب» وليس «اختصاراً» فإنني لم أحذف أي ترجمة بل أرقام المترجم لهم في التهذيب هي الأرقام نفسها الموجودة في الحلية، ليرجع إلى الأصل من أحب ذلك.
- ٣- عندما ننظر في كتاب «صفوة الصفوة» نجد تراجم لا ذكر لها في «الحلية» فكيف يكون مختصراً ثم يضيف فيه، بل هناك عشرات التراجم تحت عنوان «عابد» و«عابد آخر» و«عابدة» و«عابدة أخرى» وكل ذلك تراجم لأناس مجهولين.. فكيف يكون مختصراً ويزيد هذه التراجم لمجهولين.. وهي تراجم لا فائدة فيها.

تحقيق رسالة «المعرفة» للمحاسبي

كتاب «شرح المعرفة وبذل النصيحة» للإمام الحارث المحاسبي.

أثناء رجوعي إلى المخطوطات للبحث عن الجوامع للصحيحين.. وللبحث عن مختصرات كتاب «الإحياء» للغزالي وقفت على رسالة للحارث المحاسبي في مكتبة مركز الملك فيصل بالرياض، وبعد قراءتها أعجبت بموضوعها فطلبت تصويرها.

ثم بحثت عن نسخ أخرى.. فحصلت على ثلاث مخطوطات أخرى لهذه الرسالة..

وتم تحقيقها.. ووضح من عنوانها أنها تحتوي على موضوعين: المعرفة والنصيحة.

ويرى المحاسبي أن المعرفة الواجبة على كل مسلم تتلخص بأربعة أمور:

- ١ - معرفة الله ﷻ.
- ٢ - معرفة إبليس عدو الله.
- ٣ - معرفة الإنسان نفسه.
- ٤ - معرفة العمل لله تعالى.

وأما النصيحة: فقد جمع المحاسبي عدداً من النصائح تعد من عيون المواعظ.

سلسلة مواعظ الأئمة

طَبَعَتْ دار القلم في سلسلة «أعلام المسلمين» ترجمة للإمام «الحسن البصري».. وقد فرحتُ بخروج هذا العدد، وقرأته بإمعان، فالحسن البصري أحد الأعلام الكبار، فهو سيد التابعين..

والكتاب جهد طيب، جزى الله مؤلفه خير الجزاء، ولكني رأيته عندما تحدث عن مواعظه اختصر الكلام، وما كان حرصي على الكتاب إلا لأقف على طائفة حسنة من هذه المواعظ التي اشتهر بها الحسن البصري.

ولما لم أجد بغيتي عزمتُ على أن أقوم بجمع ما تيسر لي من هذه المواعظ.. فتبعتها في كتب الرقائق والمواعظ والأدب..

وخرج الكتاب.. ولاقى قبولاً حسناً.. الأمر الذي دعاني إلى متابعة هذا العمل في جمع مواعظ أئمة آخرين فكانت هذه السلسلة، وقد بلغت عشرين عدداً، طبعها «المكتب الإسلامي» وأكتفي بذكر عناوينها:

١ - مواعظ الإمام الحسن البصري.

٢ - مواعظ الإمام إبراهيم بن آدم.

- ٣ - مواعظ الإمام ابن الجوزي.
- ٤ - مواعظ الإمام ابن قيم الجوزية.
- ٥ - مواعظ الإمام أبي سليمان الداراني.
- ٦ - مواعظ الإمام أحمد بن حنبل.
- ٧ - مواعظ الإمام الأوزاعي.
- ٨ - مواعظ الإمام الجنيد.
- ٩ - مواعظ الإمام الحارث المحاسبي.
- ١٠ - مواعظ الإمام زين العابدين.
- ١١ - مواعظ الإمام سفيان الثوري.
- ١٢ - مواعظ الإمام سلمة بن دينار.
- ١٣ - مواعظ الإمام الشافعي.
- ١٤ - مواعظ الإمام عبد الله بن المبارك.
- ١٥ - مواعظ الإمام عمر بن عبد العزيز.
- ١٦ - مواعظ الإمام الغزالي.
- ١٧ - مواعظ الإمام الفضيل بن عياض.
- ١٨ - مواعظ الإمام مالك بن دينار.
- ١٩ - مواعظ الإمام ابن تيمية.
- ٢٠ - مواعظ الشيخ عبد القادر الجيلاني.

مواعظ الصحابة

بعد البدء بجمع مواعظ الأئمة، رأيتُ أن من الأولى جمع مواعظ الصحابة.. فبدأتُ العمل على ذلك، وسار العملان معاً.

ورأيتُ أن تكون مواعظ الصحابة في كتاب واحد، وذلك لأنني لم أجد لبعضهم إلا الموعظتين أو الثلاث؛ الأمر الذي لا يساعد على أن يكون لكل صحابي جزء خاص به.

وقد قدمتُ لها بطائفة من مواعظ سيد المرسلين ﷺ إذ هي الأصل:

فجاء الكتاب - بحمد الله - مستوفياً لما هدف إليه.

وقد فاجأني أحدهم - في أحد الأيام - وهو يقدم لي نسختين من الكتاب باللغة التركية، فإذا به صاحب مكتبة في «إسطنبول»، فشكرت له صنيعة.



الفصل الثاني

مشروع تقريب تراث الإمام ابن القيم

في غرفة المدرسين - في المعهد الذي كنتُ أدرس فيه - طاولة تتوسط المكان وحولها مقاعد المدرسين، كل منهم اختار لنفسه مكاناً اعتاد أن يجلس فيه.

ووقع نظري مرة على كتاب يتوسط تلك الطاولة، فلم أعره اهتماماً، وقلتُ إنه لأحد المدرسين.. فقد جرت العادة أن يضع كل مدرس كتبه مقابل المقعد الذي يجلس عليه.. ومضى أسبوع كامل والكتاب في مكانه لم يحركه أحد، فأخذته وقلت: لمن هذا الكتاب؟ فقال مدرس قواعد اللغة العربية: هذا الكتاب لي، قلت: ولماذا تركته هنا؟ قال: إني لا أريده، قلت: أتأذن لي أن أستعيّره، قال: هو لك، قلت: بل أستعيّره.

كان الكتاب «طريق الهجرتين» للإمام ابن القيم، وكانت تلك الطبعة مما وزع مجاناً، وربما كان ذلك سبب زهد صاحبه به.

وأخذتُ الكتاب، وقرأته في أيام قليلة، وأعدته إلى صاحبه، وقلتُ له: اقرأه ففيه خير كثير..

وأصبحتُ أتابعه.. فأقول: ماذا قرأت؟ وأين وصلت؟..

وبعد عشرين يوماً أو أكثر جاء بالكتاب وقال: خذه.. وبصراحة قرأتُ عشرين صفحة ثم لم أفهم بعد ذلك من قراءتي شيئاً.

فأخذتُ الكتاب وأعطيته إلى مدرّس مادة «التوحيد» بعد أن قلتُ له: هل قرأتَ هذا الكتاب؟ قال: لا، قلتُ: أرجو أن تقرأه وتعطيني ملحوظاتك عليه.

ومرّت أيام وأنا أسأله عن قراءته.. وبعد أكثر من شهر كرر مدرّس التوحيد موقف مدرّس قواعد اللغة العربية.

فأخذتُ الكتاب.. وفي المساء عدتُ أسأئل نفسي: مدرّسان يدرّسان في القسم الثانوي، أي ما قبل الجامعة، وهما من خريجي الجامعة، لم يفهما على الإمام ابن القيم!! فلمن كتب الإمام ابن القيم؟

ورجعتُ إلى الكتاب أقرؤه برويّة وهدوء، لعلّي أكتشف سبب ذلك. وبعد الانتهاء من ذلك تبين لي:

أن الكتاب كان حافلاً بالإسهاب والاستطراد.

أما الإسهاب، فذلك ناتج عن غزارة العلم وسعة الاطلاع، وهو يلبي استكمال الموضوع والإحاطة به.

وأما الاستطراد، فإنما يكون لمناسبة في الكلام اقتضت ذلك.

ولكن بعض الاستطرادات في هذا الكتاب، كانت عبارة عن بحوث كاملة لها عناصرها ومقوماتها، ومع ذلك فهي جملة بين معترضين ضمن البحث، ولكن طابع الكتاب لم يضع هاتين المعترضتين، ولو فعل لساعد القارئ على الفهم.

وفي الكتاب فصول كثيرة، ولكن البدء بفصل لا يعني بدء بحث جديد، بل ربما كان شرحاً لفكرة وردت في الفصل السابق استطراداً.

وأسلوب ابن القيم الرائع جعل الكتاب شديد التماسك، فقارئ الكتاب كثيراً ما يصعب عليه التفريق بين الفكرة التي هي من البحث الأصلي وبين فكرة استطردية بعدها، إلا إذا أشعره المؤلف بذلك، أو كان قد أمسك قلماً بيده وتتبع نقاط البحث ففرق بين الأصل والاستطراد.

وقد ساعد على عدم التفريق هذا، طول الاستطرادات، وتتابعها بعض الأحيان فقد يكون الاستطراد صفحات، وقد يشعرك المؤلف بذلك عندما يقول: ولنرجع إلى المقصود.. فيعلمك بذلك، وإذا كان هذا القول بين عدد من الاستطرادات فلا تدري إلى أيها تعود.

هذا الوضع من أسلوب الكتابة حال دون فهم كثير من القراء لبعض كتب الإمام ابن القيم.

ولإزاء هذا الوضع رأيتُ أن أخرج الاستطرادات من النص، وأبقي على الموضوع الأصلي متتابعاً مرتباً في فصول وأبواب.

وأما الاستطرادات التي تشرح جملة أو كلمة فإنني أضع لها رقماً في المتن وأضعها في الحاشية.. وكذلك الاستطرادات ذات الأسطر القليلة.

أما الاستطرادات الطويلة التي يكون الواحد منها موضوعاً قائماً بذاته، فإنني وضعتُ لها عناوين، وجعلتها في قسم خاص بها في آخر الكتاب.

وبهذه الطريقة سهل على كل قارئ التعامل مع الكتاب. تلك هي قصة صلتي بالإمام ابن القيم وكتبه.

* * *

واستمرت بعد ذلك صلتي بكتبه.. فإذا الأسلوب نفسه والطريقة نفسها، مع بعض الفروق تبعاً لطبيعة الموضوع محل البحث..

وبدأتُ أخرج كتبه، الواحد بعد الآخر، في هذا المشروع الذي سميتُه «مشروع تقريب تراث الإمام ابن القيم».

لم يكن تعاملِي مع كل كتبه بطريقة واحدة، بل تعددت الطرق، وقد شرحتُ ذلك تفصيلاً في ترجمة الإمام ابن القيم الذي طبعته «دار القلم» في سلسلة أعلام المسلمين برقم (٩٥).

وكانت الكتب التي ظهرت ضمن هذا المشروع:

- ١ - تقريب طريق الهجرتين.
- ٢ - الوابل الصيب من الكلم الطيب.
- ٣ - سيرة خير العباد.
- ٤ - البيان في مصاديق الشيطان.
- ٥ - القضاء والقدر.

- ٦ - الهدي النبوي في العبادات.
 - ٧ - الهدي النبوي في الفضائل والآداب.
 - ٨ - الروح.
 - ٩ - الجواب الكافي.
 - ١٠ - فضل الصلاة والسلام على خير الأنام.
 - ١١ - إعلام الموقعين.
 - ١٢ - زاد المعاد.
- وهناك كتب تطلَّبَتْ جهداً مضاعفاً حتى تمَّ العمل بها لطبيعتها الخاصة، وهي:
- ١٣ - المذهب من مدارج السالكين.
 - ١٤ - الطرق الحكمية في السياسة الشرعية.
- وهناك كتب استخرجتها من كتب الإمام ابن القيم وهي:
- ١٥ - قل انظروا.
 - ١٦ - فضل العلم والعلماء.
 - ١٧ - فصول في الاعتقاد.
 - ١٨ - طب القلوب.
- تلك هي باختصار شديد قصة هذا المشروع الذي أرجو أن ينفع الله به.



الفصل الثالث

دراسات جمالية

لستُ من هواة الفلسفة ولا من محبيها، وإن كان البحث الذي أقدم له مصنفاً فيها، ومحسوباً عليها، كما هو معروف، كما أنني لستُ ممن اشتغل بالفن، وإن كنتُ ممن يستهويه الجمال.. ولكن للموضوع قصة.

كان ذلك أثناء تلاوتي للقرآن الكريم، وفي محاولة للوقوف على الخطوط العريضة التي يتميز بها القرآن المكي، بغرض كتابة بحث قصير عن ذلك في كتاب «من معين السيرة».

وكانت التلاوة يومها في سورة يوسف.. وتلوْتُ قوله تعالى: ﴿... فَصَبْرٌ جَمِيلٌ...﴾ [يوسف: ٨٣]. وتابعتُ قراءتي، فإذا بي أجدني مشدوداً للعودة إليها، وكأنني أقرأها للمرة الأولى!! ووقفْتُ أتأملها - ومَرَّ زمن غير قصير.. وتساءلتُ كيف يكون الصبر جميلاً؟ إنه المرارة حساً ومعنى، فكيف يوصف بالجمال؟

وأحسستُ بعد ذلك أن الجمال في هذه الآية ليس مجرد وصف، وإنما هو الوصف الذي امتزج بالحقيقة، وإذا الآية لوحة يشع الجمال من كل أطرافها، وغاب الصبر تحت وهج ذلك الجمال فلم يبق له أثر.. وبقي الجمال هو الذي يتعامل مع القارئ.

ورجعتُ إلى التفاسير أنشد فيها المعنى، فلم أحصل على ما يروي الغليل، بل إن الكثير من المفسرين لم تستوقفه

الكلمة، فالتعبير عنده من الوضوح بحيث لا يحتاج إلى شرح وإيضاح، ومنهم من توقف قليلاً ليقول كلمة أو كلمتين..

ففي تفسير الطبري «فَصَبْرٌ جَمِيلٌ» هو الذي لا جزع فيه.

وعند ابن كثير والرازي: أي فسأصبر صبراً جميلاً.

وفي الظلال: إنه سيصبر صبراً متجماً لا يجزع ولا يفزع ولا يشكو.

ورجعتُ إلى كتب اللغة.. ثم إلى كتب فقه اللغة.. ولكن دون جدوى..

ويممتُ بعد ذلك شطر «كتب الجمال» أبحث في طياتها.. فلم أجد سوى سراب خادع، يغرك مرآه فإذا أتيتَه لم تجده شيئاً.

واستقرّ في خلدي أن للإسلام نظرة جمالية عامة، ينبغي تفهمها، والبحث عنها، وكان القرآن هو المرجع الوحيد.. كنتُ أقرأه بإمعانٍ ورويةٍ وتؤدةٍ أسجل من آياته كل ما له صلة بالجمال، فوجدتني أمام كتاب الله الذي لا تنقضي عجائبه.

وتكررت عودتي إلى القرآن بهذا القصد.. وإذا بي - ومن خلال الآيات التي تجمعت لديّ - أمام ظاهرة جمالية صبغت المنهج الإسلامي بصيغتها، فكانت في مادته وفي الشكل، فهي ليست عملاً تزينياً، وليست وصفاً إضافياً بل هي في طبيعة مادة المنهج وفي خواصه..

وتبين لي أن القرآن الكريم وحده يستقل بصياغة هذه الظاهرة وبيانها، أما السُّنة فكان لها الدور الكبير في الموضوع التطبيقي لهذه الظاهرة وهو ما نستطيع تسميته بـ «التربية الجمالية».

وسأحاول تسجيل هذه الظاهرة، بعون الله، بعيداً عن النظريات.. ذلك أن هذه الظاهرة سمة من سمات المنهج العظيم فما يصلح أن تستعار لها القوالب من هنا وهناك..

قد يلتقي بعض علماء الجمال مع الظاهرة في بعض جزئياتها، وهذا لا يعني أن الإسلام قد أخذ من هؤلاء وأولئك، ولكنهم بعد بحثهم التقوا مع بعض جزئيات الحقيقة.. ولن يهتدوا إليها كاملة، ذلك أنهم لم يهتدوا بهدي الله تعالى.

ومن المعلوم أن ما يسمونه «علم الجمال» هو علم حديث^(١)، وحينما نسجل هذه الظاهرة إنما نعود بها إلى النصوص يوم جاء الإسلام، ولم يكن أحد يومها فكر في شيء يسمى علم جمال.

وإذا كان هناك شيء يحسن التنويه به فهو قلة المصادر بالنسبة لموضوع الظاهرة الجمالية، الأمر الذي جعلني أنصرف بكلّيتي إلى المرجع الأول والأخير.. إلى القرآن

(١) ظهر مصطلح «علم الجمال» على يد الفيلسوف الألماني «جوتيب بومجارتن» (١٧١٤-١٧٦٢)م.

الكريم. هذا من حيث المادة وأما من حيث الشكل فقد بذلتُ وسعي - وأرجو أن أكون قد وفقتُ - في ترتيب الفصول بحيث يؤدي كل منها غرضه في ترابط نقاطه بعضها مع بعض، وفي كونه تمهيداً للفصل الذي يليه، حيث تكوّن بمجموعها وحدة متكاملة هي الظاهرة الجمالية في الإسلام، وإذا كان قد حالفني بعض التوفيق فذلك فضل الله الذي أحمدته عليه، وإذا كنتُ قد أخطأت... فأستغفر الله لذنبي، شاكراً لمن يرشدني إلى الصواب.

وما كانت قلة المصادر عن جذب في الفكر الإسلامي، وإنما هي الأمور حينما تكون معتادة قلماً يُهتم بها، وقد كانت القضية الجمالية واقعاً عاشه المسلمون، وبخاصة في القرون الأولى، فبات الفرد المسلم يعايش الجمال، بل يعيشه حقيقة لا وهماء، وواقعاً لا خيالاً... وقف زياد بن أبيه بين يدي عمر بن الخطاب رضي الله عنه يشرح للمسلمين انتصار إخوانهم المجاهدين.. وذلك إثر وقعة جلولاء.. فأعجب عمر بفصاحة الخطيب، فقال: إن هذا لهو الخطيب المصقع، فقال زياد: يا أمير المؤمنين: إن جندنا أطلقوا بالفعال لساننا.

وما كان جمال الكلمات وفصاحتها إلا قبساً من واقع المسلمين، الذي أضحى بفضل الله قادراً على أن يجعل من العبي خطيباً، ومن الأصم سميعاً...

عاش المسلمون هذا الواقع وظنوا أن الحياة كلها هكذا... وتناسق الجمال في كل ميادين الحياة يومئذٍ

بعضه مع بعض... فإذا اللوحة من صنع الله لأنها أنشئت وفق منهج الله.

إن الذين عاشوا الجمال شغلهم ما هم فيه عن تسجيله وتدوينه، ومع ذلك فلم يسجلون؟ إن هذا الواقع هو دائماً نتيجة حتمية لتطبيق منهج الله.

وإذا كان الجمال - وفقاً لخاصية الشمول - له علاقة بكل قضايا الحياة ظاهرها وباطنها، وبعبارة أخرى: جمال الظاهر وجمال المعنى فإن الدراسات الجمالية المعنوية هي التي غني المسلمون بها، وإن كان هذا لا يعني إهمالهم للجانب الآخر.

* * *

كان ذلك بعض ما جاء في مقدمة الجزء الأول من هذه الدراسة وضعتها لبيان الباعث عليها..

وكان عليّ من أجل استكمال هذه الدراسة أن أقوم بدراسة وافية لعلم الجمال ونظرياته التي كثر في الغرب، وكذلك كتب الفن..

وقرأت كثيراً.. كثيراً.. واستغرق ذلك سنوات.. أكتب ما يلفت نظري من هذه الكتب في بطاقات، وأسجل مرجع كل بطاقة..

ولما شعرتُ أنني استكملتُ التصور في ذهني عن علم الجمال ونظرياته.. وأصبح لديّ فكرة واضحة عن الفن ومدارسه.. عدتُ إلى القرآن الكريم أقرؤه بهدوء وتدبر،

وأكتب كل آية يمكن أن تسهم في استكمال هذا المشروع. وبعد الانتهاء من ذلك عدتُ إلى البطاقات التي كنتُ كتبتها - وقد أصبحت كماً كبيراً - أفرزها بحسب موضوعاتها..

ومن خلال هذا الفرز تبين لي أن هناك أربعة موضوعات رئيسية:

- ١ - ما يتعلق ببناء النظرية الجمالية.
- ٢ - ما يتعلق بمواطن الجمال التي هي:
- ٣ - الطبيعة والإنسان والفن.
- ٤ - ما يتعلق بالتربية الجمالية.
- ٥ - ما يتعلق بالفن.

وبهذا استكملتُ المرحلة الأولى من العمل.

ورجعتُ إلى بطاقات الموضوع الأول لأقوم بتصنيفها، ومن خلال هذا التصنيف استطعتُ وضع هيكل البحث وتقسيمه إلى فصول.

وبعدها جاء دور صياغة هذه الفصول ووضع تلك النقول في أماكنها، وعزو كل قول إلى قائله التزاماً بالأمانة العلمية، حتى ولو كان هذا القول جملة واحدة، وأذكر أنني قرأتُ كتاب «التربية عن طريق الفن» تأليف «هيربرت ريد» وهو يزيد على (٤٠٠) صفحة ولم أستفد منه سوى جملة واحدة.. فكان واجباً عليّ أن أعزوها إلى مكانها..

وتمّت صياغة الجزء الأول وفيه عرض للظاهرة الجمالية في الإسلام مقارنة بالنظريات الغربية.. وكان عنوان الجزء الأول:

١ - الظاهرة الجمالية في الإسلام.

وهكذا تتابع العمل حتى ظهرت الأجزاء الثلاثة الأخرى وهي:

٢ - ميادين الجمال في الظاهرة الجمالية.

٣ - التربية الجمالية في الإسلام.

٤ - الفن الإسلام (التزام وإبداع).

وبهذا كمل العمل.

وأحبُّ هنا أن أشير إلى أن الكتاب الأخير لما وصلني فوجئتُ بخطأ في العنوان وقع من الخطاط حيث كان (التزام وابتداع) و(ابتداع) كلمة ثقيلة على اللسان شوهت جمال العنوان ولم تؤدِ المعنى المطلوب بدقة.

ولم يكن من السهل تدارك ذلك.

■ ■ ■

ومرّت الأعوام لتدل على أن هذه الدراسة لم يكن لها رواج لدى القراء، فهو بحث جديد، وإنما يدرس عادة في الجامعات في كليات الآداب، فهو بحث متخصص.

ومع ذلك فقد أثنى عليه بعض النقاد، وكتب مقالاً في مجلة البيان بهذا الشأن.

ولما رأيتُ الأمر كذلك وضعته على الشبكة العنكبوتية، فكان عدد القراء كبيراً.

وقمتُ بمحاولة أخرى، وهي استخراج خلاصة للأجزاء الثلاثة الأولى والاقتصار فيها على عرض الفكر الإسلامي دون المقارنة مع الفكر الغربي وذلك لتقريب الموضوع إلى القراء. وكان عنوان الكتاب:

٥ - «الجمال في منهج الإسلام وتشريعه»

ومهما يكن من أمر:

فإن هذا البحث فريد في بابهِ، وهو يفتح باباً للثقافة الإسلامية في هذا الميدان، وربما أصبح في المستقبل هو المؤسس لهذا العلم، كما كانت «مقدمة ابن خلدون» تأسيساً لعلم الاجتماع.

هذا وقد اعتدي على هذه الدراسة، فكتب أحدهم كتاباً عن الجمال عند الإمام ابن تيمية واستعار من كتاب «الظاهرة الجمالية» أربعاً وخمسين صفحة دون الإشارة إلى المصدر.

وظهرت رسالة ماجستير عن جامعة اليرموك في إربد في الأردن بعنوان: «التربية الجمالية رؤية إسلامية» استعارت كثيراً من النصوص والأفكار من «الظاهرة الجمالية» و«التربية الجمالية» وبعد مراسلتي للجامعة بهذا الشأن كان جوابهم: هذا اقتباس.

ولا بأس، فلا يعتدى إلا على الأشياء الثمينة والنادرة.

* * *

وأخيراً:

فقد قال الإمام ابن القيم مادحاً بعض بحوثه بقوله: «وهذا لا تظفر به مجموعاً في كتاب واحد غير هذا البتة» اهـ.

ولو قلت كما قال ابن القيم لكنت صادقاً فيما قلت، ولا أقول هذا افتخاراً، فهذا ليس من شأني، وإنما أقوله للفت النظر إلى قيمة العمل.

إن هذه السلسلة لا تزيد صفحاتها على (٧٠٠)، قد يقرؤها الإنسان في أيام، ولكنه يزيد في «عمره العلمي» السنوات التي قضيتها في إعداد هذا البحث.

وهذا كسب لا يقدره إلا الباحثون.

* * *



الفصل الرابع

علم المواريث

كتاب

«الفرائض فقهاً وحساباً»

قال الإمام ابن تيمية في كتاب الاستقامة (١/٨٥): «علم الفرائض من علم الخاصة، حتى إن كثيراً من الفقهاء لا يعرفه».

أحمد الله تعالى أن أتيح لي أن أدرس هذه المادة لسنوات.. كان من حصيلتها جمع هذا الكتاب «الفرائض فقهاً وحساباً».

وكتب الفرائض - بحمد الله - كثيرة، وما أردت أن أضيف لها رقماً، ولكني رأيتها اتجهت في طريقة تأليفها وجهة واحدة، فعلم الفرائض يقوم على أمرين: فقه الفرائض، ثم حساب هذه الفرائض، فهذه الكتب وضعت المعلومات الفقهية كاملة في قسمها الأول حتى إذا ما انتهت، انتقلت إلى الباب الثاني وهو الحساب.

وقد تبين لي أثناء قيامي بتدريس هذه المادة خطأ هذه الطريقة وأنها هي السبب في صعوبة تدريس هذه المادة لمن يمارس ذلك، وصعوبة التلقي على الطالب.

فهناك بين المعلومات الفقهية ما لا يمكن فهمه إلا بعد معرفة الحساب في الفرائض، وأمر آخر، وهو أن الطالب بعد حفظ ذلك الكم من الشروط - وهي شروط متداخلة - لكل وارث، يصعب عليه استحضارها جميعاً عند حل المسألة.

وهذا ما دفعني إلى وضع هذا الكتاب.. وقد جاء ذلك على مراحل..

قسّمتُ الكتاب تبعاً لقسم الحساب وجعلتُ المعلومات الفقهية تابعة لذلك، وكانت الأقسام ثلاثة:

١ - ما يتعلق بحل المسألة البسيطة وهي ذات المتوفى الواحد.
٢ - ما يتعلق بحل مسائل ذات طابع خاص، وهي تابعة للمتوفى الواحد.

٣ - ما يتعلق بحل المسائل المركبة والتي فيها أكثر من متوفى، وكذلك ميراث الحمل والمفقود..

أما القسم الأول ففيه جل المعلومات الفقهية، وفيه يتعامل الطالب من الدرس الثالث مع مسائل الحساب، بما أسميته «الحل الجزئي للمسألة» بحيث يتدرج مع المعلومات التي يتلقاها.. فيحل من المسألة ما مرّ معه من المعلومات:

- ابتداء من التمييز بين من يرث ومن لا يرث.
- ثم تأصيل المسألة...

وهكذا تبعاً للدروس التي يتلقاها..

وبهذه الطريقة سهّل تعليم الفرائض، ولقد أُجريت تجربة على مجموعة من طلاب الثاني المتوسط فكانت ناجحة وأمكنهم تعلم الفرائض.

إن مصطلحات: «الحل الجزئي للمسألة» و«المسألة البسيطة» و«المسألة ذات الطابع الخاص» و«المسألة

المركبة».. كل ذلك مما وضعته من مصطلحات لا وجود لها في الكتب الأخرى.

وقد جعلتُ الكتاب ذا ترتيب مدرسي.

فهو يتألف من جزأين:

الأول: وفيه المعلومات مقسمة إلى دروس ضمن الترتيب الذي أشرتُ إليه، وفي نهاية كل درس أسئلة وتمارين على الطالب أن يحلها، وهذه التمارين مرقمة ترقيماً متسلسلاً من أول الجزء إلى آخره، بحيث يكون لكل مجموعة من الأسئلة رقم واحد وقد بلغ مجموع هذه التمارين (٣٩) بعدد الدروس التي حواها الكتاب.

الجزء الثاني: وفيه حلول التمارين التي وردت في الجزء الأول، وهي تحمل الترتيم ذاته.

فالطالب بعد أن يتلقى الدرس، يحل التمارين التابعة له، ثم يذهب إلى مطابقتها مع حلولها في الجزء الثاني ليعرف الصواب والخطأ.

إن هذا الكتاب يمكن أن يتعامل معه طالب العلم دون الاستعانة بمدرس، فالمعلومات مبسطة إلى حدٍّ كبير.

ومن حقي أن أقول كما قال الإمام ابن القيم: «هذا ما فتح الله به.. وألهمه بفضله وكرمه، والله يعلم أن هذا الكتاب لو كان لغيري لبالغت في استحسانه».

هذا ما يسره الله تعالى في هذا الكتاب، وأرجو أن يتقبله الله تعالى وينفع به.



الفصل الخامس

في تلاوة القرآن الكريم

وقفتُ أثناء قراءتي على كلمتين بشأن تلاوة القرآن الكريم، إحداهما للصحابي الجليل عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، والثانية لسيد التابعين الإمام الحسن البصري رحمته الله، ويشتر الله جمع كتاب لكل كلمة.

نداء الإيمان في القرآن الكريم

قال الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود رضي الله عنه - مخاطباً قارئ القرآن -:

«إن استطعت أن تكون أنت المحدث، وإذا سمعت الله سبحانه يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ [البقرة: ١٠٤] فأرعها سمعك، فإنه خير يأمر به، أو شر ينهى عنه».

ومنذ قرأت هذه الوصية وأنا أحاول أن أطبقها، ثم بدا لي أن أجمع الآيات التي تبدأ بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ وأشرحها شرحاً مختصراً يجعلها في متناول الأيدي وقد بلغ عدد هذه الآيات (٨٩) آية.

ثم رأيت أن أجمع ما عالج منها موضوعاً واحداً في باب واحد.. وبعد هذا الجمع تبين أنها ترسم - على قلة عددها - خارطة عامة لمعالم الإسلام بيّنة الحدود.

ففي الباب الأول كان الحديث عن أصول الدين وتحتة فصول.

وفي الباب الثاني: العبادات، وتحتة فصول.

وفي الباب الثالث: الأخلاق وفضائل الأعمال، وتحتة فصول.

وفي الباب الرابع: المعاملات والأحكام، وتحتة فصول.
وهكذا تتضح معالم الصورة التشريعية التي جاءت بها
هذه الآيات الكريمة.

* * *



رسائل قرآنية

أما الكلمة الثانية التي قالها الإمام الحسن البصري رحمته الله عندما خاطب قراء القرآن في زمنه قائلاً:

«إن من كان قبلكم رأوا القرآن رسائل من ربهم، فكانوا يتدبرونها بالليل، وينفذونها في النهار».

وقد قرأت القرآن في ظلال هذا القول، فرأيت كما قال، ولكن بعض هذه الرسائل جاء واضحاً صريحاً يفهمه كل قارئ، وبعضها الآخر يحتاج إلى فقه لاستنتاجه.

وفي القرآن الكريم أكثر من ستة آلاف آية، وبعض هذه الآيات تحمل الواحدة منها: الرسالة والرسالتين والثلاثة، وبعضها الآخر قد يكون في العدد من الآيات الرسالة الواحدة.

وقد تحدثت في مقدمة هذه الرسائل عن ضرورة توثيق صلتنا بالقرآن الكريم والأدب اللازم عند قراءتنا له.

وقد جمعت في الكتاب أربعين رسالة، وشرحت هذه الرسائل شرحاً مبسطاً.



الفصل السادس

تراجع



الإمام الغزالي

حجة الإسلام ومجدد المائة الخامسة

بعد أن يسّر الله لي إخراج «المهذب من إحياء علوم الدين» طلب مني الأستاذ محمد علي دولة صاحب «دار القلم» رحمه الله تعالى، أن أكتب ترجمة للإمام الغزالي، لتكون ضمن سلسلته «أعلام المسلمين» فأجبت به بأن ترجمات الإمام الغزالي كثيرة، ولا تحتاج إلى إضافة، فأصرّ على ذلك وقال: إنك عايشت مع أهم كتاب له وهو «الإحياء».

ونزولاً عند رغبته قمتُ بالعمل، وكان هناك قيد: أن لا يكون الكتاب أكثر من (٣٠٠) صفحة تناسقاً مع السلسلة.

إن صعوبة العمل مع كثرة المصادر شبيهة بصورة العمل عند قلتها.. فالذين كتبوا عن الغزالي كثر، وكان عليّ أن أستطلع ما أستطيع مما كُتب لاستكمال الصورة، إيجاباً وسلباً، فهناك المحبون وهناك المبغضون، ولقد قرأتُ في كتابة بعضهم أنه كاد يصرح بتكفيره!!

ويسّر الله استكمال الكتاب، وأحمد الله أن الثناءات عليه كانت كثيرة.



الإمام ابن القيم الجوزية

الداعية المصلح والعالم الموسوعي

عشتُ أياماً طويلة مع الإمام ابن القيم رحمته الله في المشروع الذي بدأته وهو «تقريب تراث الإمام ابن القيم».

واتصل بي الأستاذ محمد علي دولة رحمه الله تعالى مرة أخرى، ليطلب مني ترجمة له.

وهذه المرة لم أتردد في تلبية طلبه، فهناك ما أقوله في ترجمته بناءً على تلك المعاشة، على الرغم من كثرة الترجمات له.

وقد يسّر الله ذلك، وخرج الكتاب ضمن سلسلة أعلام المسلمين.

ابن الجوزي يتحدث عن نفسه

أتيح لي أن أقرأ كتاب «صيد الخاطر» للإمام ابن الجوزي.

ورأيت في بعض فصول كتابه يتحدث عن نفسه وتجربته، وذلك مبثوث في الكتاب في أماكن متفرقة، فرأيت أن جمعها أمر مفيد يعطي تصوراً أقرب عن هذا العالم الكبير، فقمْتُ بهذا الجمع.

ورأيت أن أضيف إلى ذلك خلاصة آرائه في الإصلاح.. وختمتُ الكتاب بفصل من كتابه «ذم الهوى» لما فيه من التذكير والاعتبار.

وأرجو أن أكون قد قدّمتُ خلاصة مفيدة للقارئ عن هذا الإمام.



الفصل السابع

في الثقافة الإسلامية

أختم ما تقدم بهذا الفصل، أذكر فيه ما تبقى من
الكتب التي لم تنضو تحت العناوين السابقة، وهي
جميعاً تحت العنوان الكبير: الثقافة الإسلامية.



رضيت بالإسلام ديننا

كنتُ أقرأ في كتاب «الروح» للإمام ابن القيم رحمته الله وكانت المسألة تتعلق بسؤال القبر، عندما استوقفني واسترعى انتباهي نص السؤال الذي هو عن: الرب، والدين، والنبى.

وقد مرَّ بي هذا البحث كثيراً، وهو منصوص عليه في الأحاديث الصحيحة والمتفق عليها، ولكن الذي لفت انتباهي هذه المرة، هو قلة الأسئلة وشمولها.

إن المسؤول عن هذه القضايا، هي في الحقيقة أصول الإسلام وقواعده الكبرى، وبغض النظر عن كونها أسئلة القبر، فهي مما يجب على كل مسلم معرفته، والجهل بها غير مقبول بحال من الأحوال.

وهذا ما دفعني إلى وضع هذا الكتاب وفقاً لترتيب هذه الأسئلة:

- ١ - العلم بالله تعالى.
- ٢ - معرفة الدين.
- ٣ - معرفة الرسول ﷺ.
- ٤ - بيان أن القرآن هو مصدر هذه المعرفة.

وأضفتُ إلى ذلك ما يترتب على هذه المعرفة مما ينبغي على المسلم فعله. فبينت:

١ - آثار الالتزام بالإسلام على العقل.

٢ - آثار الالتزام بالإسلام على الروح.

٣ - آثاره على الجسم.

٤ - آثاره على العمل.

إنه كتاب يبين عقيدة المسلم ويوضح ما يترتب على ذلك من عمل.

* * *



محبة الله ورسوله شرط في الإيمان

تقرر الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة أن حب الله ورسوله شرط لصحة الإيمان، بل إن وجود الإيمان بالله ورسوله مرتبط بوجود حب الله ورسوله.

قال الإمام ابن تيمية: «محبة الله بل محبة الله ورسوله من أعظم واجبات الإيمان وأكبر أصوله وأجلّ قواعده، بل هي أصل كل عمل من أعمال الإيمان والدين».

وهذا أمر أجمعت عليه الأمة، وهذا ما أكدّه الإمام الغزالي بقوله: «لا خلاف بين علماء الأمة، بل إنهم مجمعون على أن محبة الله ورسوله شرط في صحة الإيمان، أخذاً بدلالة النصوص الكثيرة الواردة في ذلك».

ولما لهذا الموضوع من خطر؛ رأيتُ أن أجمع ما يتعلق به في كتاب.

فكان هذا الكتاب متمماً للكتاب قبله: رضيتُ بالإسلام ديناً».

الإسلام دين التيسير

الإسلام دين التيسير، هذا أمر لا شك فقد قال ﷺ: (إن هذا الدين يسر) ومع كل الوضوح الذي حملته تشريعات هذا الدين بشأن التيسير، فإن فريقاً من طلبة العلم المبتدئين - وهم قلة - لم يستوعبوا هذا الأمر، فأخذوا أنفسهم بالشدة، وحكموا على الناس من خلال مفهوم ضيق.

وقد ضمّني من أحدهم مجلس فرأيتُ عجباً.. فكتبتُ هذه الرسالة في هذا الموضوع علّها تسهم في توضيح هذا المفهوم.

* * *

الصلاة.. الصلاة

(هذا آخر ما تكلم به النبي ﷺ)

كانت تلك وصيته ﷺ لأنه في آخر ما تكلم به، فرأيتُ أن أتحدث عنها في هذه الرسالة.

وهذه الرسالة ليست بحثاً في فقه الصلاة، فلذلك البحث كتبه ومراجعته، ولكنها كلمات قصدتُ بها بيان مكانة الصلاة بالنسبة لفروض الدين الأخرى، إذ ينبغي على المسلم أن يجعلها المركز في دائرة اهتمامه.. فيرتب أعماله وفقاً لما يتطلبه أداؤها في أوقاتها..

وقفتُ عند قوله تعالى: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ﴾ [البقرة: ٢٣٨] وحاولتُ جهدي بيان كيفية المحافظة عليها، والطريق إلى تحقيق ذلك.

وتحدثتُ عن النوافل باعتبارها مكملات للفروض..

إنها أضواء على بحث الصلاة من جوانب متعددة.

نظرات في هموم المرأة المسلمة

تحتل قضية المرأة الصدارة في اهتمامات المثقفين في هذه الأيام، كما أنها السلاح الأمضى الذي يستعمله أعداء الإسلام في محاربته.

فهم ينطلقون منها للطعن على الإسلام.

أوليس الإسلام هو الذي يقرر أن النساء ناقصات عقل ودين؟

أوليس هو الذي يقرر أنهن أكثر أهل النار؟

أليس هو الذي قرر مشروعية ضربهن؟.. إلخ ذلك.

وفي هذه الرسالة على صغر حجمها بيان للحق.. هذا البيان لم يكن مجرد كلام إنشائي، وإنما حجج مستندتها النصوص، إنها ليست تكراراً لما تكلم به الآخرون.

في سبيل حياة اجتماعية أمثل

هذه الرسالة هي عبارة عن خواطر كتبت في أوقات متعددة، رتبها وضممت الشبيه إلى شبيهه، وهي في مجموعها مما يساعد على الوصول إلى الأمثل في بناء الفرد، وبالتالي المجتمع.

• • •

بهذا انتهت هذه الرحلة التي استغرقت من حياة كاتبها أكثر من خمس وثلاثين عاماً حاول أن يقدم فيها لنفسه وللإخوة القراء ما رأى فيه النفع، وما كانت الحاجة ملحة لوجوده، راجياً من الله تعالى القبول والعفو عن الزلل، شاكراً للأستاذ مصعب الشامي رسالته التي استدعت هذه الإجابة، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

• • •

اللهم، ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم، وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم، وعُدْ علينا بعوائدك الحسنی يا كريم.

اللهم، ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا، ربنا ولا

تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا، ربنا ولا
تحملنا ما لا طاقة لنا به، واعفُ عنا، واغفر لنا، وارحمنا،
أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين.

وصلّى الله على سيدنا وحبيبنا محمد النبيّ الأميّ وعلى
آله وصحبه وسلّم تسليماً كثيراً.

كلمة شكر

لقد كان الحرص على الوقت وعدم إضاعته عاملاً مهماً في إنتاج ما سبق ذكره.

وفي هذا السياق، وعملاً بقوله ﷺ: (من لم يشكر الناس لم يشكر الله) أرى من واجبي أن أسجل كلمة شكر لزوجتي أم تحسين؛ اعترافاً بالجميل الذي كان بعضه توفير الوقت الذي تحدثت عنه. فאלله يجزيها خير الجزاء على ما قدّمت.

وكنت من قبل وفي مقدمة كتاب «الفن الإسلامي» قد جعلت الإهداء لها فقلت:

إلى من جعلها الله سكناً، فكانت كذلك.

وجعلها قرة عين، فكانت كذلك.

إلى المواسية في البأساء والضراء.

ورفيقة الدرب في الحط والترحال.

أهدي هذا الكتاب.

* * *

وكذلك الشكر لأولادي: تحسين وعمار ومحمود، وإيمان ومؤمنة وهدي، فقد ساهموا أيما مساهمة في توفير ذلك الوقت. فאלله يجزيهم خير الجزاء ويجعلني وإياهم في عباده الصالحين.



السيرة الذاتية للكاتب

علم بعض الإخوة بكتابتي هذه الرسالة، فرغبوا أن أكتب بعضاً من السيرة الذاتية، وتلبية لطلبهم أقول:

• أسرة آل بوبس؛ أسرة كبيرة في حي الميدان بدمشق، وجدنا أحد أبناء هذه الأسرة، وقد انتقل إلى «دوما» - وهي يومئذ قرية في شمال شرقي دمشق تبعد عنها ١٥ كم - واستقر بها، ومع مرور الأيام غلب على الأسرة اسم الشامي.

• والذي هو الشيخ أحمد بن صالح بوبس الشامي، أحد علماء دوما، وكان يشغل وظيفة الإفتاء فيها، ولم يكن مرجعاً لأهل البلد وحدهم، بل كان مرجعاً لأهل القطر، بل وكثيراً ما جاءته الأسئلة من خارج القطر.

• والعبد الفقير إلى الله تعالى صالح بن أحمد بوبس الشامي، من مواليد عام ١٩٣٤ م الموافق لعام ١٣٥٣ هـ، أتممت دراستي الابتدائية في دوما، ثم أخذ والدي بيدي وذهبنا إلى دمشق إلى «معهد العلوم الشرعية» التابع «للجمعية الغراء» حيث سجلني في هذا المعهد، وهو معهد داخلي ينام الطالب فيه.. ويرجع إلى أهله في الإجازة الصيفية.

• ومضى العام الأول والثاني والثالث في هذا المعهد، ولما كان بدء العام الرابع، حيث في نهايته يتقدم الطالب إلى الامتحان ليحصل على الشهادة المتوسطة «الكفاءة»، جاءني زميل لي في الصف وهو أخ كريم اسمه: محمود يوسف

عفش - من قرية عندان في ضواحي حلب - فقال: ماذا ستعمل؟ قلت: وماذا أعمل؟ قال: إن شهادة هذا المعهد لا تقبل لدخول الجامعة، ولذا علينا أن نتقدم في نهاية العام لاختبار شهادة «الكفاءة العامة» حتى نستطيع دراسة الثانوية العامة بعد تخرجنا من المعهد.. وندخل الجامعة..

كان الكلام مقنعاً، فاختبار الثانوية العامة لا يستطيع التقدم إليه إلا من حصل على شهادة «الكفاءة».

وقلت له: ما العمل؟ قال: نذهب إلى «المسكية» وهي بجانب المسجد الأموي وهي سوق تباع فيه الكتب، فنشتري كتب شهادة الكفاءة وندرسها إضافة إلى دراستنا لشهادة الكفاءة الشرعية.. واشترينا الكتب..

وكنا ندرس هذه الكتب خفية لأن المعهد يمنع أن يشغل الطالب نفسه بغير موادّه، وكان هناك أوقات للدراسة منضبطة تحت رقابة المشرفين الليليين.

ومع ذلك يَسّر الله لنا الاستفادة من الأوقات الضائعة ودرست هذه الكتب مع زميلي.. وقدمنا في نهاية العام طلباً إلى مديرية المعارف بدمشق للاشتراك في الاختبار، وقُبِلَ الطلب، وأُعطينا مكان الاختبار وكان في ثانوية «أسعد عبد الله».

ومن حسن الحظ أن موعد اختبار المعهد كان قبل موعد اختبار الشهادة العامة، مما أتاح لنا أداء كل من الاختبارين براحة ويسر.

وظهرت النتائج وكنت وزميلي - بحمد الله - من الناجحين في كلا الاختبارين.

وأذكر أنني في يوم من أيام هذا العام التقيت بأحد طلاب ثانوية السعادة المجاورة لمعهدنا وفي يدي كتاب «الفيزياء» فقال: وماذا تعمل بهذا الكتاب؟ قلت أدرس فيه.. فضحك وقال: نحن متفرغون لهذه الدراسة وكثير منا يرسبون.

• وتابعت الدراسة في المعهد في العام الخامس والسادس، وهو الصف الأخير في المعهد حيث يحصل الطالب على شهادة المعهد الثانوية.. وتم الاختبار، وكان النجاح، وكنت الأول في الترتيب بين الناجحين..

• وكان المخطط أن أنتسب إلى ثانوية أهلية أدرس فيها لنيل الثانوية العامة، ولكن صادف أن افتتحت كلية الشريعة في الجامعة السورية «جامعة دمشق» فيما بعد.

وقُبِلَت الشهادات الشرعية إضافة إلى اختبار آخر للدخول إليها، ويسر الله النجاح، وأصبحت أحد طلاب الصف الأول في هذه الكلية..

كان عدد المتقدمين كبيراً، ولكن الذين اجتازوا الامتحان بنجاح بلغ عددهم (٨٩) طالباً شكّلوا الصف الأول في هذه الكلية.

كان البناء المعدّ لهذه الكلية في الجامعة نفسها، وارتفعت

لوحة «كلية الشريعة» في واجهة البناء، إلى جانب لوحة «كلية الآداب»..

• قليل من طلاب كلية الشريعة الذين كان لباسهم يدل على انتمائهم لهذه الكلية، أما معظم الطلاب - وأنا واحد منهم - فكان لباسنا بقية طلاب الجامعة.

ومع ذلك فكثيراً ما كنا نسمع من بعض طلاب الكليات الأخرى كلمة «وجاء المشايخ» استهزاء.

كان المنهاج المقرر ثقيلًا، فقد كان عدد المواد المقررة (١٧) مادة.. وعلى سبيل المثال كان كتاب «علم الاجتماع» الذي كان يدرسه الدكتور عبد الكريم اليافي، مقررًا في ساعة واحدة في الأسبوع وهو يقارب (٧٠٠) صفحة، وهو مادة من هذه المواد.

وجاء الاختبار في نهاية العام، وكان عدد الناجحين (٩) تسعة طلاب من أصل (٨٩) طالباً.

وهنا تغيرت النظرة إلى هذه الكلية، حتى أطلق عليها بعضهم اسم (رف)/٢/ فهناك شهادة «الرياضيات والفيزياء» كثيراً ما كان إعلان النتائج فيها «لم ينجح أحد» باللون الأحمر.. فجاءت كلية الشريعة مشابهة لـ(رف).

وكنت - بحمد الله - الأول في الترتيب على الطلاب الناجحين، وهذا ما حَمَلَنِي عبئاً ثَقِيلاً في الأعوام التالية للمحافظة على هذا المستوى..

وقد سأل عني الدكتور عبد الكريم اليافي الذي كان يدرسنا «المنطق» و«علم الاجتماع» بعد ظهور النتائج، ولم أكن يومها في الجامعة، فقليل له: ماذا تريد منه؟ فقال: إنه الطالب الوحيد الذي أخذ العلامة التامة في المنطق (١٠٠) وكانت علامة الطالب الذي يليه (٤٥).

• ومضت السنوات الأربع وتخرجت من الكلية وتقدمت إلى مسابقة اختبار المدرسين ونجحت فيها وعينت في محافظة السويداء، حيث قضيت فيها سنتين.

• ثم طُلبت لأداء خدمة العلم - كما يطلق عليها - والتحقت بكلية الضباط الاحتياط بحلب، فأمضيت فيها سنة ثم نقلت إلى القطعات - برتبة «ملازم».. وسرحت بعد مضي السنة الثانية.

• وعدت إلى التعليم في دوما حيث تمّ نقلي إليها أثناء وجودي في الخدمة العسكرية، كان ذلك عام ١٩٦١م.

ثم استدعيت لخدمة الاحتياط عام ١٩٦٦م حيث أمضيت سنة.

ثم استدعيت للمرة الثانية عام ١٩٦٨ وكان المقر قريباً من نوى.. حيث أمضيت أكثر من سنة، ولما جاء إنهاء هذا الاستدعاء سلمت أمتعتي وأجريت معاملة الانفكاك وكان آخرها توقيع قائد القطعة، ودخلت عليه باللباس المدني فأديت التحية وفقاً للنظام، وقدمت له الورقة ليوقع عليها، فلما نظر فيها ضحك ضحكة فيها الكثير من السخرية وقال: من قال لك

أنك أنهيت عملك؟ قلت: الإشعار الذي جاءكم نسخة منه وجاءتني نسخة منه، قال: لن تذهب حتي يأتي البديل.

قلت: أنا موظف في وزارة التربية والتعليم، وقد وصلهم إشعار بانتهاء خدمتي الاحتياطية هذه، وتأخري عن الدوام عندهم يعد غياباً، فأرجو أن تعطيني إشعاراً من قبلك بالاحتفاظ حتى يأتي البديل لأقدمه إلى مديرية التربية والتعليم.. فلما سمع ذلك تغير وجهه الضاحك، ثم وقع الورقة وخرجت دون التحية.. كان اسمه إلياس كعدة.. فتركته وغادرت الشكّة متوجّهاً إلى بلدي.

• واستمر عملي في التعليم في بلدي..

وفي عام ١٩٧٥م قمت بأداء فريضة الحج بصحبة والدي - رحمه الله - ومرة أخرى ١٩٧٩م.

وفي عام ١٩٧٨م صدر قرار من الدولة بنقل أكثر من (٣٠٠) مدرس ومدرسة من التعليم إلى وزارات الدولة الأخرى، وجميعهم من ذوي الاتجاه الإسلامي، وجميعهم من المتميزين في أداء عملهم، ولو كانوا من دولة أخرى لكرمتهم..

وكنت واحداً منهم، وكان مكاني الجديد، في وزارة المواصلات، فرع حرستا، وهو مكان قريب من دوما..

وأخذت ورقة التحويل، وذهبت إلى مدير هذه الدائرة، فلما رآها ضحك، وقال:

ما أرى لك مكاناً إلا أن أقوم عن هذا الكرسي - للكرسي الذي يجلس عليه - وتجلس فيه أنت، فمرتبتك هي الثانية في السلم الوظيفي ومرتبتي هي الرابعة.. وضحكنا..

ثم قلت أرجو أن يكون العمل بعيداً عن التعامل مع المراجعين، فقال ستكون في الدائرة المالية في قسم الإحصاء، وذهبت إلى هذا المكان، فإذا المدير شاب في مقتبل العمر، فلما رأى ورقة التحويل وعرف أنني خريج لكلية الشريعة، بادرنى بالسؤال: هل تحسن استعمال الآلة الحاسبة؟ وبادرته على الفور بقولي: إن كنت لا أحسن فالأمر قابل للمعرفة وأن يتعلم الإنسان ما يجله.. كان ذلك بلهجة ساخرة.. وهكذا بدأت العلاقة مع هذا الشخص.

ولم تمض إلا أيام قليلة حتى اكتشفت تلاعباً في الأرقام.. فهناك داخل وصادر ووفقاً لمفهوم الحسابات العامة ينبغي أن يتطابق الرقمان.. فلما رأيت هذا الخلل عرضت عليه الأمر، فقال: تابع العمل ولا تهتم للأمر، فقلت: كيف أتابع والخلل كبير، ولما رأى اكتشافي للتلاعب.. نقلت إلى عمل آخر..

كنت في عملي أمضي الأيام حتى استكمل عشرين عاماً في الخدمة، حتى يحق لي طلب الإحالة على التقاعد.. ولما مضت الأشهر المتبقية لذلك طلبت الإحالة على التقاعد، وتم ذلك.

• ومنذ تخرجت من الجامعة وأنا أخطب الجمعة في بلدي، وكان ذلك في المساجد التي لا تتبع الأوقاف، وهي: جامع (النعسان) ثم في جامع (البغدادى) ثم في جامع (التوحيد)، واستمرت خطبتي في هذا الجامع إلى أن غادرت البلد.

كانت الخطبة تأخذ مني جهداً غير قليل، فكنت مع بدء الأسبوع اختار «الموضوع» ثم استجمع الأفكار في ذاكرتي فإذا كان يوم الجمعة جلست بعد صلاة الفجر لأسجل هذه الأفكار وأرتبها كتابة كعناصر للخطبة، فإذا أخذت شكلها النهائي تأملتُها وحفظت صورة ترتيبها في ذهني، ولم تكن خطبتي مقروءة من ورقة في يوم من الأيام.

وذلك لأن الخطبة المكتوبة تولد ميتة، فهي جسم بلا روح، فكيف تبعث الحياة في السامعين؟! ولقد كان رسول الله ﷺ يكون كأنه منذر حرب، وصلى عبد الله بن عمر إلى جانب المنبر يوماً، فقال: حتى نظرت إلى المنبر يتحرك من أسفل شيء منه، حتى إني لأقول أساقط هو برسول الله ﷺ.

إن الله وضع بين يدي الخطيب أوقات الناس وألزمهم الاستماع، فالواجب عليه أن يحسن القول ويحسن الأداء، وأن يكون هو منفعلاً بالكلام حتى يكون مؤثراً في الناس، إنها مسؤولية موضوعة في عنقه وهو مسؤول عنها.

• وقد كانت لي مشاركات في المناسبات العامة.. وكذلك إلقاء بعض المحاضرات في المركز الثقافي.



وزارة الثقافة والأدب العربي
المركز الثقافي العربي
دوما

يتشرف المركز الثقافي العربي بدوما بدعوتكم للاستماع الى المحاضرة

التي يليها :

الإستاذ طالع الشامي

وموضوعها :

« قبسات من هجرة الرسول ﷺ » -

وذلك في تمام الساعة السادسة والنصف من مساء يوم السبت في ١٢ / ١٢ / ١٩٧٧

« في قاعة محاضرات المركز الثقافي »

• ويحسن بي هنا - ضمن حديثي عن الثقافة - أن أذكر أسماء أساتذتي في المعهد الذي قضيت فيه دراستي الإعدادية والثانوية: وهم: الشيخ عبد الكريم الرفاعي، والشيخ عبد الغني الدقر، والشيخ عبد الوهاب دبس وزيت (الحافظ)، والشيخ عبد الرحمن الزعبي الطيبي، والشيخ أحمد الجباوي، والشيخ خالد إنخل، والشيخ نايف العباس،.. وغيرهم ممن أنساني بعد العهد ذكرهم رحمهم الله تعالى.

وأما أساتذتي في الجامعة. فهم: الدكتور مصطفى السباعي، والشيخ محمد المبارك، والدكتور معروف الدواليبي، والشيخ مصطفى الزرقا، والدكتور أحمد السمان،

والدكتور عدنان الخطيب، والدكتور عمر الحكيم، والشيخ محمد المنتصر الكتاني، والشيخ أبو اليسر عابدين، والشيخ علي الطنطاوي، والدكتور عبد الكريم اليافي.. وغيرهم.

• أما من الناحية المادية، فلم أعول على راتب التعليم، وإنما انصرفت إلى العمل في تجارة البناء، مع شريكين آخرين، حيث كنا نشترى الأرض، ثم نبنيها ونبيعها.

وقد لبي هذا العمل بعض هوايتي في علم الهندسة الذي كنت سأدرسه لولا أن كلية الشريعة افتتحت في العام الذي أنهيت فيه دراسة الثانوية الشرعية، والخير فيما اختاره الله.

فكنت أخرج في السادسة صباحاً فأركب سيارتي أتوجه إلى البناء لأطمئن على سير العمل وهكذا إلى الساعة السابعة والنصف حيث أتوجه إلى الثانوية..

• وبعد تحويلي من التعليم إلى المواصلات اشتدت حملة الدولة البعثية على أصحاب الفكر الإسلامي.. ففي كل يوم معتقل، وفي كل يوم مُدَاهَمٌ في بيته..

وجاءني أحد الأقرباء الناصحين، وقال: ماذا تنتظر؟ تنتظر أن تعتقل اليوم أو غداً، غادر البلد.. وأرحنا من الهم بشأنك، عند ذلك سعت في أمر الخروج ويسر الله التعاقد مع جامعة الإمام محمد بن مسعود للتدريس في معاهدها.

لم أفكر في السفر يوماً من الأيام للعمل.. وقد فعل ذلك بعض زملائي، وذلك لأنني لم أتصور أنني أستطيع أن يمضي

يوم لا أمرُّ على والديّ فيه، فقد كنت أعود من الثانوية ظهراً إلى بيت الوالد قبل أن أعود إلى بيتي، وفي المساء أكون عنده أساعده في استقبال ضيوفه، أو استقبال المستفتين.. لقد كان بيته - رحمه الله - مقصوداً حتى أتعبه ذلك، ومع ذلك فما كان يعتذر عن استقبال أحد وفي أي وقت من الأوقات.

• وأما من الناحية المادية فالمبلغ الذي تعاقدت عليه لم يكن يساوي شيئاً بالنسبة للدخل الذي كان عندي من البناء..

• كان ذلك في ١٦/٧/١٩٨٠م الموافق للربيع من رمضان عام ١٤٠٠ عندما حملت الجواز واتجهت إلى المطار، وكان عبور المطار إلى الطائرة أمراً مخيفاً، فقد اعتقل بعضهم أثناء ذلك.. ولكن الله سلم.. ووصلت إلى الطائرة، حيث تنفست الصعداء واستقر بي المقام على أحد مقاعدها..

وحطت الطائرة في مطار الرياض..

وتبعثني زوجتي وأولادي بعد شهر.. عدا ولدي الكبير تحسين الذي كان بلغ سن الثامنة عشر، والنظام في السعودية لا يسمح بدخوله تبعاً لوالده.. وكان وضعه الأمني مقلقاً لا لشيء إلى لأنه يحمل اسم أبيه.. واضطر بعد ذلك أن يغادر البلد إلى قبرص، ومنها إلى ليبيا، ثم إلى إسبانيا.

• جرت عادة الناس التهنئة بقدوم المسافر، ولكن بلغني بعد سفري أن الناس قدموا على أهلي يهنئونهم بسلامة المغادرة.

• وبنزولي في مطار الرياض بدأت صفحة جديدة. تكشفت سطورها مع مرور الأيام كان العمل الذي وجهتني إليه إدارة الجامعة هو المعهد العلمي بقرية الدلم على بعد ١٠٠ كم من الرياض.

إن هذه الصفحة الجديدة لو أردت أن أكتب تفصيلاتها لكتبت مجلداً، ولكنني أذكر بعض المواقف من السنة الأولى تدل على ما بعدها.

لما ذهبت لأداء الخدمة الإلزامية في كلية الضباط الاحتياط في سورية أصبحت رقماً من الأرقام، ككل الطلاب الآخرين، وهنا في الغربية أصبحت رقماً في جملة المتعاقدين تحت اسم «متعاقداً».

بدأ العام الدراسي وأعطيت جدول الساعات، وكان في مادة التفسير، وبعد أسبوع استدعيت إلى الإدارة وعرض عليّ المدير استلام مادة «المذاهب المعاصرة» في الصف الثالث الثانوي، وكانت قد قررت ذلك العام، وليس لها كتاب، وإنما هي عناوين الموضوعات في صفحة واحدة، وعلى المدرس أن يعد هذه الموضوعات.. وهي ساعة واحدة في الأسبوع أخذت من ساعتني مادة «التوحيد» الذي بقي له ساعة واحدة.

وهكذا أصبح عندي إضافة إلى التفسير: المذاهب المعاصرة والتوحيد في الصف الثالث الثانوي وبدأت العمل..

كانت نظرات الطلاب إلينا نحن المتعاقدين أننا جماعة جاءت لتكسب العيش، فنحن أجراء في خدمة الطلاب.. أو هكذا كان يخیل إلي..

ثم هناك إشكالية في صحة عقيدتنا، فنحن نتظاهر بالتدين لأن الجو العام يقتضي ذلك!!

رفع طالب يده في أحد الدروس في الصف الثالث الثانوي فقال: ما حكم اللحية يا شيخ؟ فأجبتة على الفور بقولي: اجلس فإن لحيتي من بلدي.

وأدركت ما أراد بسؤاله، فكان ذلك الجواب.

كانت مادة التوحيد تشتمل على أركان الإيمان وأركان الإسلام في كتاب صغير وهذه المعلومات كنت تلقيتها وأنا صغير في الصف الثالث الابتدائي، فهي من المعلومات من الدين بالضرورة.

فأحببت أن أستفيد من الوقت فأتوسع في البحث، فدخلت إلى الصف ووضعت على السبورة كلمة «الإنسان» بخط كبير، ثم بدأت أتحدث عن غاية وجود الإنسان.. وذلك في ظلال قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ ومضى الدرس ولما كان الدرس الثاني أحببت أن أتابع الموضوع، فوقف أحد الطلاب المتميزين في اجتهادهم وقال: يا شيخ، ما تتكلم به ليس موجوداً في الكتاب، قلت: أجل، إنني أدري ذلك، وما في الكتاب

يعرفه الطلاب الصغار، فقال: ولكن المشايخ الذين وضعوا الكتاب موثوق دينهم..

وأدركت ما أراد.. وهو الشك في معتقدي وعندها قلت لأحد الطلاب أفتح الكتاب وبدأت أتعامل معهم كما يتعامل المعلم في الابتدائي مع طلابه..

• وهكذا، وبصريح القول، كان الشك قائماً في عقيدتنا - نحن المتعاقدين - كما أن تمسكنا بالدين كان تظاهراً لمجاراة الجو العام.

ما كنت أظنني في يوم من الأيام أنني سأكون في مثل هذا الموقف.. ولكن هذه كانت أولى ثمرات الغربة.

لست بحاجة إلى بيان عقيدتي والدفاع عنها..

وهي التي هاجرت من أجلها وتركت أهلي وبلدي..

ولكن أقول لهؤلاء وأمثالهم.. إن الرجل كان يأتي إلى النبي ﷺ فيقول: (أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله) فيصبح بذلك واحداً من المسلمين بل واحداً من الصحابة رضي الله عنهم.

وأنا أشهد هذه الشهادة منذ وعيت.. وأرجو أن أموت عليها.

إن الذين يضعون أنفسهم بين الله وبين خلقه، ويجعلون من أنفسهم حكماً على الناس.. سيسألون عن ذلك.

• ومرت الأيام بطيئة ثقيلة تحمل في طياتها تلك النظرات وتلك الكلمات إلى أن جاء الاختبار النصفى، وكان على كل مدرس أن يعدّ الأسئلة ويعرضها على المدير ويسلمها له.. وفعلت ذلك.

وجرى الاختبار وقام المدرسون بتسجيل الدرجات..

وكانت المفاجأة أن نسبة الرسوب في مادة «التفسير» في جميع الصفوف تزيد على ٥٠٪ وهذا شيء لم يحدث - فيما علمته بعد - في المعهد من قبل في أي مادة من المواد.

وفي هذا الاختبار كانت نسبة النجاح مرتفعة بل ممتازة في بقية المواد.

واستدعيت إلى الإدارة وكان السؤال: ما هذه النتيجة؟ فقلت: هذا السؤال لا يوجه إليّ، فأنا أدرس منذ عشرين عاماً. وقد قمت بواجبي وكانت الأسئلة من ضمن الكتب المقررة، وقد عرضتها عليكم. فإذا كان الطلاب لم يقوموا بواجبهم. فهذا لا أسأل عنه وسكت المدير ولم يقل شيئاً.

وجاء اختبار آخر العام ولم تتغير هذه النسبة، ولم يتدخل المدير في تعديلها، وكان ذلك من حقه.

وتوقع كثير من المدرسين إلغاء عقدي تبعاً لهذه النتيجة. ولكن هذا لم يحدث وجاء العقد مجدداً.

واستطاع كثير من الطلاب اجتياز الدور الثاني بنجاح..

هذا الوضع أفادني في السنوات التالية حيث فهم الطلاب أن المادة التي يدرسها الشيخ الشامي تحتاج إلى بذل جهد وجد واجتهاد.. فأصبح إلقاء الدروس أمراً مريحاً بالنسبة إلى ما سبق. وتأقلم الطلاب مع المدرس.

وقد أمضيت في «الدلم» سبع سنوات، جاء بعدها نقلني إلى تبوك، وقد حاول مدير المعهد الشيخ عبد الرحمن الجاسر - رحمه الله - جهده في بقائي في المعهد على أن أقوم بتدريس اللغة العربية ولكن جهوده لم تفلح.

• وسافرت بالطائرة إلى تبوك حيث استأجرت بيتاً وعدت لأركب سيارتي بمعية زوجتي وأولادي متوجهين إلى تبوك. إنها رحلة أخرى، وغربة بعد غربة..

لم يكن اللقاء مع مدير المعهد في تبوك مريحاً، فقد رأيت في عينيه نظرات الطلاب يوم بدء قدومي وتناسيت أو بالأحرى تجاهلت ذلك، وكذبت نفسي وقلت لها إنه شعور انعكس عليك جراء الرحلة والتعب.

ودعيت مع المدرسين الآخرين إلى اجتماع قبل بدء العام الدراسي، استمر لمدة ساعتين. كنا فيه وكأننا أطفال صغار تلقى علينا المواعظ، وشعرت بكثير من المهانة.. وضبطت نفسي.. فكلنا متعاقدون، وطفَّ الصاع، ووجدت نفسي مندفعاً للرد عليه.. وخرجنا.. وأحاط بي المدرسون، وقالوا كل سنة يجري هذا الدرس ولا نرد عليه..

ومضى عامان في تبوك لم تكن الأمور فيه على ما يرام..
 • ثم نقلت إلى عرعر.. وكان مدير المعهد فيها الأستاذ
 سليمان الفيفي رجلاً شهماً أديباً وشاعراً.. يحترم جميع الناس..
 وكان كثيراً ما يمر أمام الصفوف أثناء الدروس فيجذني
 واقفاً ألقى الدرس..

فيقول لي: يا أستاذ اجلس فمثلك ينبغي أن يجلس، إنه
 يأتينا المدرس الجديد وفي سنته الأولى يجلس على
 الكرسي من أول الدرس إلى آخره.

وكان مما قلت له: إن جلوس المدرس يغيب عنه الطلاب
 الذين يجلسون في آخر الغرفة، وتغيب عن الدرس الحيوية
 والنشاط، إن وقوف المدرس يساعد في ضبط الطلاب وحركة
 المدرس تجعلهم يتفاعلون مع الدرس.

ومضت سبع سنوات في عرعر، وعندها كنت وصلت
 إلى السن المسموح به.. وجاء إنهاء خدمتي وعدت إلى
 الرياض.. وأقمت فيها.

إنها الغربية.. بل غربة جاءت بعدها غربة ثانية.. وثالثة..
 والغربة ظلام، يشتد تارة، ويخف أخرى.. ولقد رأيت أنا
 وأسرتي من شدته ما فيه الكفاية.. كانت كربات.. ما تنتهي
 الواحدة.. حتى تليها الأخرى ولكن فضل الله تعالى واسع
 وخيره عظيم، فقد أعان على تجاوز ذلك.. على أن هذا
 الظلام تخللته إضاءات كثيرة.. أذكر واحدة منها:

فما زال طلابي في الدلم، وبعض طلابي في عرعر - وقد أصبحوا في مناصب عالية - يواصلونني ويزورونني، فلهم الفضل.. ولهم مني جزيل الشكر.

كما أن كثيراً من طلاب العلم في الرياض - وفي مدن المملكة الأخرى إذا قدموا إلى الرياض - يزورونني.. فَصِلَةُ العلم لا تعرف الحواجز، وهو رحم بين أهله.

فهذه الإضاءات كانت تبدد بعض تلك الظلمة..

إنها أيام غربة بل أكثر من غربة.. وإني في الرياض في انتظار الفرج، فعسى أن يأتي الله به ويعود الغريب إلى وطنه.. نسأله تعالى أن يحقق ذلك إنه نعم المسؤول.

* * *

اللهم، اختتم بالصالحات أعمالنا، نلقاك وأنت راضٍ عنا، مولانا رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربِّ العالمين.

مقدمة ٥

بين يدي الرحلة

- ١ - واجب الصلوة بالسنة ٩
- ٢ - الرحلة في طلب علم الحديث ١١
- ٣ - كلمة حول فكرة جمع السُّنة ١٣
- ٤ - العيش في ظلال السُّنة ١٩

الباب الأول

رحلتي في ظلال السنة النبوية

- تمهيد ٢٥
- ١ - مشروع تقريب السُّنة المطهَّرة ٢٥
- ٢ - الباعث والمنطلق ٢٧

الفصل الأول:

- مجموعة الأصول التسعة ٣١
- ١ - الجامع بين الصحيحين ٣٣
- ٢ - زوائد السنن على الصحيحين ٤٥
- ٣ - زوائد الموطأ والمسنَد على الكتب الستة ٥٤
- ٤ - جامع الأصول التسعة ٦٠
- ثمرات الكتاب ٦٦
- كلمة فضيلة الدكتور ذياب الغامدي ٦٧

الفصل الثاني:

- المصادر الخمسة المكملّة للأصول التسعة ٨٣
- ١ - زوائد السنن الكبرى للبيهقي على الكتب الستة ٨٥
- ٢ - زوائد ابن خزيمة وابن حبان والمستدرک على الكتب التسعة ٩١
- ٣ - زوائد «الأحاديث المختارة» للمقدسي على الكتب التسعة ٩٧
- خلاصة الكتب المكملّة للتسعة ٩٩

الفصل الثالث:

- الكتب المفردة ١٠١
- ١ - تحقيق كتاب «الجمع بين الصحيحين» للموصلي ١٠٣
- ٢ - مشارق الأنوار على صحاح الآثار ١٠٦
- ٣ - الأدب المفرد للإمام البخاري ١١٠
- ٤ - الوافي بما في الصحيحين ١١٣
- ٥ - مسند الإمام أحمد بن حنبل ١١٥
- ٦ - الأحاديث النبوية الكلية ١٢٠
- ٧ - تقريب مسند الإمام أحمد ١٢٢
- ٨ - معالم السُّنة النبويّة ١٢٦
- معطيات هذا الكتاب: ١٢٩
- ٩ - الوجيز في السُّنة النبويّة ١٣٢
- خاتمة الفصول الثلاثة ١٣٤
- إحصاءات رقمية ١٣٦

الفصل الرابع:

- السيرة النبويّة ١٤٣
- ١ - من معين السيرة ١٤٥

- ٢ - كتاب «المواهب اللدنية» للقسطلاني ١٤٧
- ٣ - من معين الشمائل ١٥٠
- ٤ - من معين الخصائص النبوية ١٥٢
- ٥ - السيرة النبوية (تربية أمة وبناء دولة) ١٥٤
- ٦ - سيرة النبي ﷺ في بيته ١٥٧
- ٧ - المذهب من الشفا للقاضي عياض ١٥٩
- ٨ - أهل الصفة (بعيداً عن الوهم والخيال) ١٦٢
- ٩ - الغرائق (قصة دخيلة على السيرة النبوية) ١٦٤
- ١٠ - أضواء على دراسة السيرة ١٦٥
- ١١ - هكذا فهم الصحابة ١٦٦
- ١٢ - الخلق العظيم ١٦٧

الباب الثاني

ما سطره القلم

الفصل الأول:

- ١٧١ في الأخلاق وتهذيب النفس
- ١ - المذهب من إحياء علوم الدين ١٧٣
- ٢ - تهذيب حلية الأولياء للأصبهاني ١٧٥
- ٣ - تحقيق رسالة «المعرفة» للمحاسبي ١٧٩
- ٤ - سلسلة مواعظ الأئمة ١٨٠
- ٥ - مواعظ الصحابة ١٨٢

الفصل الثاني:

- ١٨٣ مشروع تقريب تراث الإمام ابن القيم

الفصل الثالث:

دراسات جمالية ١٩١

الفصل الرابع:

علم الموارث وكتاب «الفرائض فقهاً وحساباً» ٢٠٣

الفصل الخامس:

في تلاوة القرآن الكريم ٢٠٩

١ - نداء الإيمان في القرآن الكريم ٢١١

٢ - رسائل قرآنية ٢١٣

الفصل السادس:

تراجم ٢١٥

١ - الإمام الغزالي ٢١٧

٢ - الإمام ابن قيم الجوزية ٢١٨

٣ - ابن الجوزي يتحدث عن نفسه ٢١٩

الفصل السابع:

في الثقافة الإسلامية ٢٢١

١ - رضيتُ بالإسلام ديناً ٢٢٣

٢ - محبة الله ورسوله شرط في الإيمان ٢٢٥

٣ - الإسلام دين التيسير ٢٢٦

٤ - الصلاة.. الصلاة ٢٢٧

٥ - نظرات في هموم المرأة المسلمة ٢٢٨

٦ - في سبيل حياة اجتماعية أمثل ٢٢٩

كلمة شكر ٢٣١

السيرة الذاتية للكاتب ٢٣٣